الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد ـ تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ
شعبة التراث اللامادي الجزائري

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الشعبية تخصص التراث اللامادي الجزائري

وعدة سيدي امحمد الواسيني بمغنية "دراسة في المظاهر الاحتفالية"

إعداد الطالبة:
خديجة بن فضيل

إشراف الأستاذ:
أ. د شعيب مقنونيف

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د .عبد الحق زريوح	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د. شعيب مقنونيف	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
د(ة) سعاد يمينة شبوط	أستاذة محاضرة	جامعة تلمسان	عضوة
د(ة) نصيرة بكوش	أستاذة محاضرة	جامعة تلمسان	عضوة

السنة الجامعية: 1436- 1437 هـ / 2015 - 2016م

بسم الله الرحمن
الرحيم

إهـــــداء

إلى التي ضحّت لأجلي نور حياتي أمي.
إلى روح والدي الذي كان سندا لي في حياتي وفي دراستي .
إلى إخوتي الذين ساعدوني على إنجاز عملي .
إلى كل من وقف بجانبي ودعّمني ولو بكلمة.
إلى كل هؤلاء أُهدي هذا العمل متمنية أن يكون في مستوى تطلعاتهم.

شـكر وعـرفـان

الحمد لله حمدا كثيرا مباركا فيه والشكر لله تعالى الذي أمدنا بالصحة والعافية والصبر على إتمام عملنا هذا وتجاوز كل العقبات .

بأخلص عبارات الإمتنان نتوجه بالشكر إلى أستاذنا المشرف "الدكتور شعيب مقنونيف" الذي ساندنا وصبر على هفواتنا ودفعنا إلى إتمام ما بدأناه ،فإليك أستاذنا نهدي هذا العمل وأدام الله عطاؤك للعلم .

لا ننسى بالشكر جميع أساتذتنا الكرام خلال الأعوام الماضية في قسم التراث اللامادي على جهودهم ونصائحهم لنا طيلة سنوات الدراسة.

كما لا ننسى جميع من ساعدنا في نقل المادة العلمية التراثية من الميدان خاصة أفراد قبيلة بني واسين المكلفون بالوعدة والفنون الشعبية وكل من أمدنا ولو بكلمة وظفناها في هذا البحث.

مقدمة

يزخر التراث الجزائري بعادات وتقاليد كثيرة ساهمت في إنجازها الأجيال عبر العصور،منها ما يتعلق بالفنون ومنها ما يتعلق بالمعتقدات ومنها ما يتعلق بالأدب وغيرها من عناصر التراث المادي واللامادي.ومن أبرز الظواهر الاجتماعية والثقافية التي لا تزال مستمرة في مجتمعنا ظاهرة "الوعدة" .

تعتبر ظاهرة الوعدة واحدة من العادات التي ارتبطت بالتراث الشعبي الجزائري الواسعة الانتشار في القرى والمدن عبر أنحاء الوطن ،عمل الناس على إحيائها سنويا في مواسم معينة اعتقادا منهم بان إقامتها تؤدي إلى جلب الأمطار والخير وعدم إنجازها يزيل البركة ويؤخر نزول الغيث وغضب الأولياء الصالحين.
إن ظاهرة الوعدة ترتبط ارتباطا وثيقا بالمعتقدات الشعبية التي تأصلت في المخيال الشعبي الجزائري وتحولت إلى ممارسات وطقوس التبرك بالأضرحة والزيارة وغيرها من الطقوس الدينية الشعبية.

لقد حضيت ظاهرة الوعدة باهتمام العديد من الباحثين والدارسين في المغرب العربي والجزائر خصوصا كما حضيت بالحيز الكبير من الدراسات الانتروبولوجية خاصة ما تعلق منها بالجوانب العقائدية والطقوسية والوظيفية من خلال دراسات محلية وأجنبية ،إلا أن تلك الدراسات أغفلت جانبا مهما من هذه الظاهرة وهي دراسة الجوانب التراثية أو الفنون الشعبية المختلفة التي لا تزال ملازمة للوعدة ومن هذا المنطلق كان عنوان موضوعنا "وعدة سيدي امحمد الواسيني بمغنية" محاولة لإبراز ذلك الجانب المهم منن ثقافتنا الذي يكاد يمحي ويتلاشى في ظل انتشار رياح العولمة والتكنولوجيا .

إن اختيارنا للموضوع يعود لسببين رئيسيين ،أحدهما موضوعي والآخر ذاتي: فالسبب الموضوعي يعود إلى اهتمامنا بعادات وتقاليد المجتمع خاصة تلك المتعلقة بالفنون التراثية من أجل الوقوف على دلالاتها وأسباب استمرارها وأهميتها ضمن تظاهرة الوعدة ، والخوض في الفنون الشعبية يجعل الباحث يدخل في العديد من الجزئيات التي تشكل مواضيع منفردة للدراسة أو يخوض في تخصصات أخرى ذات علاقة بموضوع البحث.

أما السبب الذاتي فيعود إلى كوني من البيئة التي تشهد التظاهرة مما سهل التنقل في الميدان ونقل المادة العلمية من أفواه أصحابها فأردت أن أنقل جانبا من تاريخ و تراث المدينة والمنطقة .وما شد اهتمامي هو اضمحلال بعض عناصر هذا التراث الشعبي وتراجع ممارسته في المناسبات والساحات ،وعدم وعي الجيل الصاعد بأهمية تراثه وإعادة إثارته والتنويه بأهميته.

من هذا المنطلق ارتأينا إعادة طرح موضوع الوعدة كظاهرة تجمع بين ثناياها الجوانب الدينية والجوانب الفنية وإثارة اهتمام الباحثين والدارسين بجوانب الفنون الشعبية من خلال جمعها وتصنيفها ودراستها ونقلها للأجيال القادمة .

إن هذه المحاولة المتواضعة أردت من خلالها الإحاطة ببعض الجوانب الثقافية والدينية والاجتماعية لتلك الاحتفالات المصاحبة للوعدة(وعدة سيدي امحمد الواسيني بمغنية)، وإبراز بعض المظاهر التراثية المشابهة للتراث المغربي باعتبارها منطقة حدودية تأثرت بالأحداث التاريخية التي مست الشعبين الشقيقين، وذلك ما يبرز التأثير والتأثر المتبادلين،وذلك قصد التعريف بالمنطقة وفتح المجال أمام إعادة البحث في التاريخ الثقافي للمنطقة والبحث في عناصر التراث الأخرى .

الوعدة كظاهرة لطالما ارتبطت بثقافة المجتمع الجزائري قديما وحديثا شكلت جانبا مهما من عاداته وتقاليده ورمزا من رموز تدينه الشعبي ،ومناسبة احتفالية يعبر فيها المنتسبون للطرق الصوفية عن تعلقهم بالدين ورموزه المتمثلة في الأولياء الصالحين،كما يعبر فيها الفنان الشعبي من خلال المنافسات الاستعراضية عن رموزه التاريخية والحضارية والفنية النابعة من عراقته وتراثه التليد .

فهل أن ديمومتها مرتبطة بالدوافع الدينية والاجتماعية ؟ أم أن الدوافع الثقافية والنفسية والرغبة في تحقيق الفرجة والمتعة هما السببان الرئيسيان لدوامها واستمرارها ؟ وهل هي طقس من طقوس التبرك بالأولياء؟أم أنها ظاهرة إحتفالية المنشأ ومناسبة لالتقاء الجماعات للترويح عن النفس؟

وللإجابة على هذه التساؤلات ارتأينا أن أقرب منهج هو المنهج التاريخي مع الاستعانة بالمنهج الإنتروبولوجي لتعريف بعض المصطلحات الخاصة بالموضوع كلما اقتضت الضرورة ذلك .

وخلال مراحل البحث نقلت المادة ووصفتها كما هي وحللت بعض الظواهر لتحديد ماهيتها ووظيفتها في التراث الشعبي .أما الخاتمة فأجابت على التساؤلات المطروحة ومؤكدة على أهمية الجانب الاحتفالي في الظاهرة اليوم .

أما عن الخطة المعتمدة في هذه الدراسة فالمنهجية اعتمدت على تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول:

ـ ففي الفصل الأول حاولنا تحديد العلاقة بين المعتقدات الشعبية و الوعدة خاصة ما تعلق بعقيدة الصوفية ومكانة الولي كرمز مقدس،ثم تأثير التصوف الطرقي في ترسيخ عقيدة الاولياء والوعدة كطقس من طقوس التبرك، وإبراز أهم المفاهيم التي تمثل مفاتيح لفهم الفصول الموالية .

ـ الفصل الثاني خصصناه للحديث عن "وعدة سيدي امحمد الواسيني بمغنية " من خلال الحديث عن الوعدة كظاهرة قائمة بذاتها بالتعرض للمصطلح وعلاقته بالتراث ثم الدوافع والوظيفة التي تؤديها في المجتمع ،وتبيان مدى بقاء مظاهر الوثنية والتفكير الخرافي رغم تعارض ذلك مع الدين الإسلامي ثم أشرنا الى ميدان البحث من خلال التعريف بالمنطقة جغرافيا وتاريخيا وأصل سكانها بإبراز علاقة القبيلة بجدها الأول (الولي الصالح) .

ـ في الفصل الثالث تناولنا بالوصف والتحليل مختلف المظاهر الاحتفالية المصاحبة للوعدة ،حيث تم التعرض إلى المظاهر الدينية بمختلف طقوسها ودلالاتها ووظيفتها في المجتمع ،ثم المظاهر الفولكلورية الخاصة بالمنطقة من خلال طقوسها وأزيائها ووسائلها ودلالاتها كذلك.

ـ أما الخاتمة فقد تضمنت أهم النتائج التي تم استنتاجها من هذه الدراسة وأهم التوصيات الخاصة .

كما لا ننسى أهمية الملاحق في تبسيط ونقل المادة العلمية للقارئ خاصة ما تعلق بالمنطقة وتراثها والصور التي تبرز جوانب من تلك التظاهرة .

أما عن المراجع والمصادر المستخدمة في هذه الدراسة فهي تتراوح بين المصادر الشفهية لأصحاب الوعدة وممارسي الفروسية والألعاب الشعبية ومراجع عامة لكتاب وباحثين اهتموا بالوعدة منها:

ـ المصادر :كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية للدكتور محمد الجوهري،إضافة إلى القرآن الكريم والسنة الشريفة.

ـ المراجع : عقيدة المؤمن ،الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ،الرسالة القشيرية في التصوف للقشيري، الدين والطقوس والتغيرات

للدكتور نور الدين طوالبي، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق للدكتور محمد سعيدي،، تاريخ الجزائر الثقافي للدكتور أبو القاسم سعد الله ،وغير ذلك مما ورد ذكره في الفهرس.

كما اعتمدنا على مجموعة من المجلات أبرزها جريدة الثقافة الشعبية(البحرين) مجلة الواحات،مجلة عود الند،مجلات وطنية تكتب عن التراث. بالإضافة إلى الروايات الشفاهية التي نقلت لنا التراث من بيئته خاصة الفولكلور الشعبي والألعاب الشعبية .

لم تكن رحلة البحث سهلة علي إذ إعترضتني جملة من الصعوبات منها ظروف عائلية جد صعبة جعلتني أتوقف عن إكمال البحث في مدته المحددة مما أثر على إنجازه بالمستوى المطلوب،وصعوبة جمع المادة التراثية خاصة الفنون الشعبية لكون الجزء الأكبر منها تلاشى ولم تعد تمارسه العامة،إضافة إلى صعوبة تبويب المادة والتوفيق بين الجانب العقائدي والفولكلوري للظاهرة في مذكرة واحدة بسبب غزارتها وتشعبها، وندرة المراجع التي تتناول دراسة المظاهر الاحتفالية والفنون الشعبية الجزائرية وصعوبة التوفيق بين الدراسات الانتروبولوجية ومفاهيمها والدراسات التاريخية مما جعل البحث يقتصر على الجانب المفاهيمي للدراسات الانتروبولوجية في هذه الدراسة.

وأخيرا ما نقوله في هذا المقام أنه رغم المشاكل والصعوبات التي إعترضتني في بحثي هذا إلا أن النتائج المحصل عليه وان كانت زهيدة فإنها تمحو عناء التجربة وتقدم للقارئ والباحث والمهتم بالتراث جانبا مشرقا من تراثنا الشعبي والوطني، وتثير فيه الفضول والرغبة في استكمال الدراسة وإعادة إحياء وإثراء تراثنا الشعبي .

إن هذا المجهود المتواضع ما كان ليكون وينتهي لولا مساندة أستاذي الفاضل "شعيب مقنونيف" الذي وقف إلى جانبي في أحلك لحظات حياتي ودفعني إلى إنهاءه كما لا أنسى زملائي في الدراسة وفي التدريس الذين هونوا علي جميعا عناء كل صعب ودفعوني لإنهاء مشروعي جزاهم الله عني كل الخير وجعله في ميزان حسناتهم جميعا .

تلمسان في2016/04/17

الطالبة بن فضيل خديجة

الفصل الأول

ثبات المعتقدات الشعبية في الوعدة

تمهيد

I. المعتقدات الشعبية
   1. المعتقد لغة واصطلاحا
   2. المعتقد الشعبي
   3. المعتقدات الشعبية في الجزائر
   4. المعتقدات والطقوس

II. التصوف في المغرب الإسلامي
   1. الدين والتدين
   2. التصوف والصوفية
   3. الصوفية ومعتقد الأولياء

III. التصوف الطرقي في الجزائر
   1. نشأته وانطلاقه
   2. الطرق الصوفية
   3. الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر

يتميز المخزون الثقافي الجزائري بالتنوع و الكثرة من منطقة لأخرى و ضمن المنطقة الواحدة ، والخوض في دراسة هذا المخزون يصطدم ببعض المفارقات الكبرى خاصة ما يتعلق بالمعتقدات الشعبية إذ يلاحظ اصطدام المفاهيم الدينية المستمدة من الدين الرسمي(الإسلامي) مع المعتقدات الشعبية التي تغلب عليها طابع الخرافات و الأساطير التي علقت في المخيال الشعبي* وحولتها بعض الممارسات إلى حقيقة يصعب الفصل فيها.

تحتل المعتقدات والعادات حيزا كبيرا في مخيلة الفكر الإنساني ، فلكل أمة معتقداتها توارثتها الأجيال عن بعضها البعض،فهي مرآة عاكسة لصور الماضي، إذ تمارس يوميا داخل المجتمع الذي يحاول الحفاظ عليها."فالمعتقدات و الخرافات الشعبية منفذ من المنافذ الأساسية لدراسة عقلية الشعوب ومدخلا مهما من أجل اقتحام فضاءاتها العقائدية والفكرية و ممارساتها الطقوسية الباطنية والمختفية منها والظاهرة الجلية ، فهي تترجم أيضا مستويات التفكير الشعبي وحركيته داخل فضاءات مادية روحية خاصة"[1].

* المخيال الشعبيimaginaire populaire "هو جهاز لإنتاج الصور و الرموز نغرف مادته تارة من الذاكرة وتارة أخرى من الخيال و به يمكن تأويل الظواهر والأشياء ، تشكل عبر القرون وأسهم في تشكيله القصاصون و المداحون والرواة والشعراء وتناقلته الطبقات الشعبية عبر الزمن طغى عليه الغريب والعجيب والخارق و الأسطوري وهو يناقض المرجعية الإسلامية الرسمية في تصور الإنسان و العالم والكون(ينظر:محمد عابد الجابري،العقل السياسي العربي ،ص14-15).

[1] محمد سعيدي،من أجل تحديد الإطار المعرفي والاجتماعي للمعتقدات الشعبية- ظاهرة الأولياء والأضرحة نموذجا- مطبوعات مركز الأبحاث في الانتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية،الجزائر،1995، ص6 - 7

انطلاقا من هذا التعريف فإن المعتقدات الشعبية التي يؤمن بها الشعب الجزائري ويمارسها في حياته متعددة لا يمكن حصرها والتي تظل مرتبطة بالفكر الخرافي بل لا تلتقي في غالب الأحيان مع الدين الرسمي ،كما نجدها تحمل في ثناياها بعض مظاهر الوثنية والنزعات الخرافية كالاعتقاد في الجن،السحر، التطير، الكهانة،الأعشاب، الأحجار،الحيوان ،العين،الإنسان غير أن أبرزها ما يتعلق بتقديس الأولياء والاعتقاد في قدرات الأموات و بركاتهم وغيرها من المعتقدات التي لا تزال مستمرة في تفكير المجتمع والتي تتجسد في جملة الطقوس والممارسات التي لا يزال المجتمع متمسكا بها ويمارسها في مناسبات خاصة.

إن الخوض في هذا المخزون الشعبي الخرافي ضرب من المستحيل ذلك أنه يتميز بتشعبه وتوسعه ولأنه يصعب الفصل بين العادات والتقاليد وبين المعتقدات، "فالمعتقد يخص الجانب الروحي والسلوكي الخاص بتفكير الناس، وبالتالي لا يمكن الفصل بين السلوك العملي وبين ما يفكر فيه هؤلاء وما يعتقدونه".[1]

على هذا الأساس يكون التركيز على أهم المعتقدات الخرافية في التراث الجزائري وهي الأولياء الصالحون والاعتقاد في كراماتهم والنذر لهممن خلال جملة الطقوس و الممارسات التي تجسدت في ظاهرة "الوعدة ".
و قبل الخوض في الظاهرة يجب إبراز تجليات المعتقدات الشعبية في الوعدة من خلال إبراز العلاقة التكاملية بين الظاهرتين،أي بين الاعتقاد والممارسة.

[1] حاتم عبد الهادي السيد،سيناء في تراث العالم القديم،مجلة أفق الثقافية،العدد 26،مارس 2005.

I. ـ المعتقدات الشعبية

1. ـ المعتقد:

ـ لغة: عَقَد:العَقْدُ وهو نقيض الحَلُّ،عَقَدَهُ يَعْقِدُهُ عَقْدًا وتِعْقَادً[1]أي الجَزْمُ والقَطْعُ والتصديق بدون شك ،و اعْتَقَدَ في الأمر أي صَدَّقَهُ و عَقَدَ عليه قلبه وضميره وتَدَيَّنَ به،و المعتقد ما يعتقد الإنسان من أمور الدين[2].

أصل كلمة اعتقد هو عَقَدَ :فعل ثلاثي مزيد بحرفين :الهمزة والتاء على وزن افتعل،ورغم استعمالاتها المختلفة فإنها تعني الإيمان و التصديق في أمر ما، والعقيدة هو ما عَقَدَ و صدق عليه المرء بضميره و عقله فلا يحتمل الشك أو التراجع أو التنازل عليه،فالمعتقد انجاز الفكر[3].

ـ إصطلاحا:

المعتقدات هي كل الأفكار و الأقوال و الممارسات والطقوس المرتبطة بتفكير الأفراد والجماعات،فلا يكاد مجتمع يخلو من هذه المعتقدات التي ترتبط أحيانا بأمور واقعية و أحيانا أخرى بأمور خرافية ذات علاقة وطيدة بثقافة وعادات وتقاليد المجتمع،فمن المعتقدات ذات الطابع الديني في المجتمع الجزائري والتي لا تزال مستمرة ما تعلق بكرامة الأولياء والصالحين و زيارة أضرحتهم و التبرك بها ونذر النذور بأسمائهم وذبح الذبائح عند قبورهم اعتقادا منهم بأن ذلك سبب من أسباب قبولها و حلول البركة.

---

[1] محمد مرتضى الزبيدي،تاج العروس من جواهر القاموس،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت، لبنان،ط1،،ص234

[2] المنجد،دار المشرق،بيروت،لبنان،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ط7 ،1986،ص708

[3] ابن منظور، لسان العرب،دار صادر للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،ج 5،ط1،1997،ص386

لقد حرم الدين الإسلامي ذلك و منع اتخاذ القبور مساجدا وتشييدها كمزارات للتبرك والتوسل لغير الله ،لأن الميت إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث،صدقة جارية، وعلم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في مجمل الحديث الشريف،وبذلك فالدعاء يكون من الحي إلى الميت وليس العكس والسنة النبوية و كتاب الله حرما كل ما يتعلق بذلك واعتبره من أبواب الشرك.

وفي هذا الصدد يبرز العلامة أبو بكر الجزائري:"إن ما ينذره المسلمون من نذور للأولياء و الصالحين من أموات المسلمين ليس وسيلة مشروعة للتقرب بها إلى الله عز وجل ولا لقضاء الحاجات و استجابة الدعوات وإنما هو شرك محرم وقع فيه من وقع من أمة الإسلام لبعدهم عن دراسة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم[1].

من هذا المنطلق فهو شرك بالله حرمها الله تعالى لقوله:"و اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا"[2] ،وقوله تعالى:"فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنَدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ"[3]أي لا تجعلوا لله شركاء،بل يتوجب دعاء الله والتوسل إليه بأسمائه الحسنى لقوله تعالى:"وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهاَ ".[4]

[1] أبوبكر جابر الجزائري،عقيدة المؤمن ،مكتبة العلوم والحكم،المدينة المنورة،ط1،1995،ص2 .
[2] سورة النساء(الآية 36).
[3] سورة البقرة(الآية 22).
[4] سورة الأعراف(الآية 180).

2. المعتقد الشعبي

يطلق لفظ الشعب على الجماعة الخاضعة لنظام اجتماعي واحد و يعرف أيضا بالعامة من الناس ،كأبناء الطبقات الفقيرة من العمال و الفلاحين و غيرهم[1] والشعبي هو ما اتصل اتصالا وثيقا بالشعب إما في شكله أو مضمونه.[2]

يرى محمد الجوهري:"أن المعتقدات الشعبية هي التي يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي و العالم فوق الطبيعي ثم تحولت في صدور الناس إلى أشكال أخرى جديدة بفعل التراث القديم الكامن على مدى الأجيال،فلم تعد بذلك معتقدات دينية رسمية بالمعنى الصحيح،إلا أنها لا تحظى بقبول و إقرار رجال الدين الرسمي "[3].

من خلال هذه التعاريف فالمعتقد الشعبي تكون من تصورات و أفكار تجسدت في طقوس و ممارسات ساهمت في بقائها و استمرارها في الذاكرة الشعبية و ذلك ما يتجسد في الاعتقاد في الأولياء الصالحين من خلال رمزية" الضريح " الذي تترجم له الطقوس معنى تلك القدسية وعلى رأسها الوعدة باعتبارها نذر موجه للأولياء الصالحين و طلب بركتهم ورضاهم و التي تعد في الأصل نتاجا لفكر الطرق الصوفية التي عملت على نشر مثل هذه المعتقدات والممارسات في المغرب العربي و الجزائر،وإلى جانب هذه المعتقدات توجد معتقدات خرافية اخرى لاحصر لها والتي لا تزال رواسبها مستمرة في تفكير وعادات وتقاليد المجتمع الجزائري منها ما تعلق بعالم الجن والسحر والطيرة وغيرها مما سيرد ذكره فيما بعد .

[1] صليبا جميل ،المعجم الفلسي،ج1،دار الكتاب اللبناني ،بيروت،1912،ص722.
[2] محمد سعيدي،الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1991، ص9.
[3] محمد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، دار الكتاب، القاهرة ،ط1، 1978، ص46.

3. ـ المعتقدات الشعبية القديمة في الجزائر:

أثناء تطور حياة الإنسان المادية والفكرية بدأت تتطور نظرته تجاه القوى الغيبية أو ما فوق الطبيعة ومن هذا المنطلق نشأت المعتقدات الدينية أو الدين. ففي بداية تطور الحضارات الإنسانية القديمة لجأ الإنسان إلى السحر والكهانة لتفسير ما صعب عليه من ظواهر الحياة ، فالتجأ إلى القوى الغيبية لحمايته وقضاء حوائجه لذلك انتقل من عبادة الظواهر الطبيعية إلى عبادة بعض الحيوانات والنباتات وذلك ما يسمى بالطوطمية* .

لقد كان لهذا المعتقد دورا كبيرا في تماسك أفرا القبيلة والجماعة من خلال الالتفاف حول معبودها، ومن هذا المنطلق اتخذت كل جماعة معبودها أو إلهها ونظامها الديني الذي ينظم العلاقات داخل هذا المجتمع ويفرض على أعضاءه الامتثال لعاداتها وتقاليدها.

إن المعتقدات تنشأ تبعا لحاجات الجماعات البشرية لذلك نجدها تختلف من بيئة إلى أخرى،كما أفرزت المعتقدات جملة من الطقوس التي عملت على ترسيخها في المخيال الشعبي للجماعة ، فعلى سبيل الذكر قدست العرب الكعبة فأقاموا حولها

---

* الطوطمية "**Totum**"الطوطم هي كائنات تحترمها القبائل المتوحشة ويعتقد كل فرد من أفراد القبيلة لعلاقة نسب بينه وبين واحد منها يسميه طوطمه .وقد يكون الطوطم حيوانا أو نباتا أو غير ذلك وهو يحمي صاحبه وصاحبه يحترمه ويقدسه أو يعبده ،والطوطم ثلاث طبقات طوطم القبيلة مشترك بينهم ويتوارثونه ،طوطم الجنس خاص بالإناث أو الذكور وطوطم شخصي ما يخص الفرد الواحد.والأول أكثر اعتبارا.ومن الناحية الدينية يعتبر الطوطم أبا للقبيلة ومدافعا عنها ولكل قبيلة طوطمها ،أما من الناحية الاجتماعية فهي الحقوق المتبادلة بين أفراد القبيلة التي يجمع بينها اسم ذلك الطوطم بالنظر إلى قبائل أخرى(ينظر:يوسف شلحت ،نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني،تق وتحق:خليل أحمد خليل، دار الفارابي،بيروت لبنان،ط1 ،2003،ص111 -113).

التماثيل والأصنام ،وفي عبادتهم قدموا القرابين لآلهتهم وأقاموا الاحتفالات لأجلها وتعظيمها والطواف حولها والتمسح بأصنامها ،ومن صور عبادتهم لها زيارتها والنذر لها وجعل نصيب لها من حروثهم وأنعامهم والذبح عندها وقسمة ما ذبح على الحاضرين واستشارتها فيما ينوون.

لقد كان العرب في الجاهلية ينسكون النُّسك حول أصنامهم وأنصابهم تقربا إليها ومن تلك النسك الفرع والعتيرة[1]. فيقصد بالفرع أول نتائج الإبل والغنم يذبحونه تقربا لآلهتهم يطلبون من وراءه البركة في مواشيهم ، أما العتيرة وتسمى أيضا الرجبية فتذبح في رجب وهي العشرة الأوائل من رجب، ينذر أحد لصنمه هذه والنُّصب حجارة كانت حول الكعبة تُنصبُ فيُهَلّ ُ عليها ويذبح لغير الله تعالى وكان العرب في جاهليتهم يذبحون عندها ويشرّحون اللحم ويضعونه على النصب[2].

إلى جانب معتقدات العرب عرف البربر عبادة الشمس والقمر وبعض الحيوانات كالقرد والثور والتيس ،فلقد وجد بجبل بني راشد تمثالا يدعى " آتون"وهو صورة تيس على رأسه دائرة الشمس اتخذوه إلها ،كما عظموا الأشجار والعيون والجبال ويحترمون الأموات ويشيدون لهم قبورا ضخمة [3] .

ومن مظاهر الاعتقاد وعبادة الشمس أن الولد عندما يثغر وتسقط سنه يرمي بها إلى الشمس ويقول لها في بعض الجهات الشمالية من البلاد :"أعطيتك سن الحمار أعطيني سن الغزال" ،هذا ويتبركون ببعض العيون ويرجون منها الشفاء والنسل،

[1] مبارك بن محمد الميلي،رسالة الشرك ومظاهره،دار البعث للطباعة والنشر،قسنطينة،1982،ص230
[2] ابن منظور،لسان العرب ،ج6،ص ص:192-193
[3] مبارك بن محمد الميلي،تاريخ الجزائر القديم والحديث،ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،ط3 1989،ص75

ومن تعظيمهم للجبال والأشجار زيارة بعض الكهوف وتطييب رائحتها بالبخور لان أحد الصلحاء مر بهذا الكهف أو جلس عنده.

هذا وتأثر سكان الجزائر (البربر) القدماء بمعتقدات المحتلين كالفينيقيين والرومان وغيرهم، فالفينيقيون كانوا وثنيين يعبدون الشمس والقمر وكانوا يقيمون لهذين الإلهين تمثالين بكل مدينة من مدنهم فالشمس اله السماء والأرض يتوسلون لرضاه بتقريب القرابين له ،وقد يكون القربان إنسانا ،وأكثر ما تكون القرابين من أبناء الملوك "يقدمون القرابين لنيل رضاها وكثيرا ما كانت القربان أُناسا، فيُلقى القربان البشري في النار المقدسة التي جعلت لذلك التمثال ، وقد تكون أُمُّ هذا القربان حاضرة تنظر إليه من غير جزع يلحقها "[1].

أما القمر فهو إله الحب والجمال وكانوا يمثلونه بصورة إمرأة بيدها حمامة وعلى رأسها من شعرها صورة هلال . وعندما نزل الفنيقيون بأرض البربر تأثروا بديانة سكانها كما تأثر البربر بديانة الوافدين وأدمجوا مع ديانتهم هذه المعتقدات إلى أن جاءت ديانة الرومان فتعاشرت الديانات الثلاث .

أما ديانة الرومان فقد تميزت بتعدد الآلهة منها آلهة عظمى عامة وآلهة صغرى خاصة بالأسر أو المنازل ،فكانوا يعبدون القوى الطبيعية والنار المقدسة و الموتى من أسلافهم، وهي عبادة خاصة بالأسر يعتبرونهم آلهة يتقربون أليهم بالقرابين فان قصروا في ذلك انقلبوا آلهة شر، ومن آلهتهم العظمى جوبيتر (كوكب المشتري) وهو اله المطر و"جونون" آلهة النور و الزواج ومنها "منيرف" إله الفطانة ولهذه

[1] مبارك بن محمد الميلي ،نفس المرجع ،ص137

الثلاثة معبد مشترك في روما يعتقدونها حامية روما ،وهناك آلهة المعادن والفلاحة والبحر والتجارة والأخلاق وغير ذلك.[1]

وبظهور المدن الكبرى أصبح لكل مدينة مذبحا مشتركا يتم فيه تأدية الطّقوس وأي خطأ يعرض الجميع لنقمة الإله الأعظم، لذلك كانت تقام في روما كل أربع سنوات وتقدم فيه الأضحيات للتكفير عن الأخطاء التي يمكن أن تكون قد ارتكبت أثناء تأدية الطقوس ، وهذا يشبه رأس السنة البابلية حيث يعتقد بأن الآلهة تقوم بمحاسبة الناس على أعمالهم في هذه الأديان[2] .

لقد استمرت المعتقدات الوثنية في المجتمع الجزائري إلى يومنا هذا رغم التطور الحاصل، ومن مظاهر ذلك الاعتقاد في الجن وفي الأولياء الصالحين والأموات والأحجار والنباتات، فقد يعتقد المرء في قدرة بعض أضرحة الأولياء على النفع والضر،والتطير من بعض الحيوانات كالبومة و من بعض الأشخاص أو الألوان، والاعتقاد في الأرواح الشريرة (الشياطين والجن).

من أكثر المعتقدات انتشارا في المجتمع الجزائري تلك المتعلقة بالخصب لذلك لجأ الإنسان إلى القوى الخفية والغيبية لطلب المطر وضمان محصول وفير وتأمين حياته لذلك لجأ إلى الأولياء أو إلى بعض الطقوس السحرية وبعض الممارسات لطلب الغيث و الاستسقاء أبرزها الوعدة .

[1] مبارك بن محمد الميلي ،تاريخ الجزائر القديم والحديث،ج1 ،ص249

[2] يوسف الحوراني،الإنسان والحضارة مدخل ودراسة،منشورات المكتبة العصرية، ط2،1973،ص49

إن الديانات السماوية (الإسلام ،المسيحة،اليهودية)أكدت على ضرورة التوحيد ومحاربة تعدد الآلهة وتصحيح المعتقدات وتحكيم العقل في كل ذلك ، إلا أن المعتقدات الخرافية ظلت مستمرة في المجتمع الجزائري فلا يزال الكثيرون يعتقدون في الأرواح الشريرة والعين والربط لذلك تجدهم يلجأون للسحر والشعوذة وتصديق العرافين وحمل التمائم لتفادي ذلك واتقاء الشرور .

إلى جانب هذه المعتقدات تزخر العادات والتقاليد الجزائرية بالعديد من الطقوس والممارسات ذات الصلة الوثيقة بالمعتقدات الشعبية خاصة تلك المتعلقة بالنذور أو الذبح منها الذبح على العتبة أي عند شراء بيت جديد أو دخول منزل جديد لاتقاء شر ساكنيه من الجن ،أو ذبح ديك أسود أو أحمر بجانب قبر ولي صالح لشفاء مريض (ممسوس) والمعروفة محليا بالنشرة* وما زيارة الأضرحة ببعيدة عن هذا المجال حيث تتخذ طقوس خاصة أثناء الزيارة كوضع الحناء على الجدران أو ترك بعض الملابس الداخلية ،و إشعال الشموع والبخور والتمسح بالتراب أو جدران الضريح والتي لا تزال تمارس إلى اليوم في الزيارات و الوعدات .

إن الحديث عن المعتقدات الشعبية في الجزائر يدفعنا إلى استنتاج مهم و هو أن تلك المعتقدات تعتبر محصلة معتقدات الحضارات والشعوب القديمة التي أثرت في معتقدات سكان الجزائر قبل الإسلام و تجذرت من خلال جملة من الطقوس الممارسة ،غير أن هناك عامل ساهم أكثر من غيره في انتشار معتقد الأولياء

*النشرة في كلام العامة هي ما يعالج به المريض المصاب بالمس أو الجنون أو السحر من تمائم يعلقها أو تمحى ويدهن بها المريض أو يشربها،وعادة ما تقترن بذبيحة من طيور تقدم قربانا للجن،أو طعام الكسكسي الذي تحضره النسوة قرب ضريح أحد الأولياء الذي يبيت فيه المريض طلبا للشفاء.

الصالحين وهو انتشار الفكر الصوفي أو ما يعرف بالطرق الصوفية والزوايا في المغرب الإسلامي عامة والجزائر خاصة.

خلاصة القول فإن ديانة البربر تركبت من عدة ديانات بحكم تأثرها بمعتقدات وطقوس المحتلين والوافدين كالفينيقيين والرومان ورغم خضوعهم للدين المسيحي (البعض منهم) إلا أن الأغلبية ظلت على وثنيتها ، ورغم انهم دخلوا في الدين الإسلامي عن طواعية وتمسكوا بتعاليمه لقرون طويلة إلا أنه لم يُطَّهِر عقائد البربر من بقايا الوثنية التي لا تزال باقية في عاداتهم وتقاليدهم واعتقاداتهم المختلفة.

4. المعتقدات و الطقوس:

ترتبط الطقوس ارتباطا وثيقا بالمعتقدات فإذا كانت المعتقدات حالة ذهنية لمجموعة من الأفكار المتعلقة بالعالم القدسي، فان الطقوس هي، مجموعة من الأفعال المتعلقة بأسلوب تصورات أعداد كبيرة من البشر على امتداد أجيال عديدة.[1]

ـ مفهوم الطقس:

كلمة الطقس "rite" مشتقة من الكلمة اللاتينية "ritus " وتعني العبادات والاحتفالات الدينية العادات والتقاليد والأعراف ،وهذه المعاني المختلفة تتواجد

[1] بيار بونت ،معجم الاثنولوجيا و الانتروبولوجيا، تر:مصباح عبد الصمد،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ،ط1 ،2006ص632

داخل اللهجات المتداولة المألوفة [1]،و مصطلح طقس لا يختص به حقل معرفي واحد فهو يشمل كل الحقول المعرفية الأساسية ولهذا نجد من الصعب تحديد مفهوم واحد ،فهو متداول عند الأنتروبولوجيين وعلماء الاجتماع وعلماء النفس وعلماء التحليل النفسي وغيرهم .

وقد جاء في قاموس الأتروبولوجيا :أن الطقوس هي فعاليات و أعمال تقليدية لها في الأغلب علاقة بالدين والسحر ،يحدد العرف أسبابها و أغراضها ،والطقوس دائما مشتقة من حياة الشعب الذي يمارسها، ويعتقد البدائيون أن أدائها يرضي الآلهة والقوى فوق الطبيعية والمعبودات،وعدمه يسبب غضبهم ويجلب نقمتهم، وتجرى في الطقس فعاليات مختلفة كالرقص وتقريب القرابين ونحر الأضاحي وأداء الصلوات وترديد التراتيل".[2]

وهذا ما يعني أن الطقوس هي مجموعة من الأفعال يمارسها المجتمع قصد إرضاء القوى العليا في شكل ممارسات متعلقة عادة بالمعتقدات الدينية والسحرية ،وعادة ما يكون ذلك تحت وقع احتفالات كبرى.

عند علماء الانتروبولوجيا الاجتماعية "الطقوس هي مجموعة حركات سلوكية متكررة يتفق عليه أبناء المجتمع ،وتكون على أنواع وأشكال مختلفة تتناسب والغاية التي دفعت الفاعل الاجتماعي أو الجماعي للقيام بها"،[3] والطقوس ثلاثة

1 Jean Maisonneuve ,les rituels ,presse universitaire de France ,Paris ,France ,1er édition,1988,p3

[2] شاكر مصطفى سليم ،قاموس الانتروبولوجيا(انجليزي ،عربي)،ط1،جامعة الكويت،،1981 ص 824

[3] دينيكن ميتشل ،معجم علم الاجتماع ،تر:إحسان محمد حسن ،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت، لبنان، ط2،1986 ،ص176

أنواع هي الطقوس السحرية والطقوس الدينية الروتينية والطقوس الدورية الكبرى[1]

إلى جانب ذلك يرى العلماء أن "الطقوس مرتبطة أساسا بالأساطير، حيث أنها مستمدة من ماض أسطوري، تم من خلاله إعادة إحياء و تحيين الحدث المقدس والخارق للعادة، أو بمعنى آخر هو محاولة لإعادة استرجاع الأزمنة المقدسة وإلغاء الأزمنة الدنيوية المدنسة "[2].

إلى جانب هذه التعاريف" فالطقوس مرتبطة بأفكار دينية مسبقة تشكلت لدى الإنسان من شعوره بوجود عالم ما ورائي ،غير أن الأساطير تنسى مع مرور الأزمنة أما الطقوس فتضمن استمرارها،فالأسطورة مظهر حكائي والطقس مظهر أدائي مما يفرز لنا أساطير الطقوس[3].

من خلال جملة التعاريف الخاصة بالطقوس فهي مجموعة الممارسات والعادات والتقاليد المتجذرة في سلوك الأفراد والجماعات ، وهي كل أنواع الاحتفالات المرتبطة بالمعتقدات الدينية والسحرية أو المتعلقة بدورة الحياة (الزواج ،الختان).

إذن الطقوس هي الضامن لاستمرار تلك المعتقدات الدينية، ومن هذه الأساطير التي تتضمنها المعتقدات الشعبية في مجتمعاتنا العربية أساطير الأولياء الصالحين، حيث جعلت الإنسان العادي يرتقي إلى مراتب الأنبياء والمرسلين وحتى امتلاكه

---

[1] فراس السواح ،الأسطورة والمعنى ـ دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية ـ ،دار علاء الدين للنشر،دمشق،سوريا، ط1،1997 ،ص 130

[2] نور الدين طوالبي،الدين والطقوس والتغيرات،تر:وجيه البعيني ،منشورات عويدات ، بيروت، لبنان، ط1،1988 ،ص34

[3] فراس السواح ،نفس المرجع،ص 146 .

قدرات الألوهية، وبذلك يصبح لدى العامة أنموذجا أسطوريا من خلال تحقق البركة والكرامة على يديه.

ومن هذه القداسة نشأ الاعتقاد فيهم، ومارس الناس طقوسا مختلفة حول أضرحتهم منها طقوس الزيارة والنذور و تقديم القرابين والذبح .وهذا ما يجعل هذه الطقوس تتنافى وطقوس الدين الإسلامي التي تحمل معاني ومدلولات دينية مقدسة كما تخضع لضوابط لا تخالف جوهر العقيدة الإسلامية القائمة على التوحيد،وأبرز الطقوس التي تتضمن تلك المعتقدات ظاهرة الوعدة باعتبارها طقسا من طقوس التبرك والاعتقاد في الأولياء الصالحين ،من خلال جمعها بين الاعتقاد والنذر والزيارة في آن واحد ،وذلك ما يرد تفصيله في الفصل الثالث .

II. - التصوف في المغرب الإسلامي :

1. - الدين والتدين :

لكل مجتمع دين يدين به ويواليه،والدين هو تلك "المجموعة المتماسكة من العقائد والعبادات المتصلة بالعالم القدسي التي تنظم سلوك الإنسان"[1]،"يعتبر الدين نظاما للحياة ، بل يعتبر من أهم الأنساق الاجتماعية المؤثرة في كافة الأنساق الأخرى، هذا بالإضافة إلى أنه عنصر فعال و أساسي في تكامل الثقافة وتجانسها"[2]

[1] مهدي محمد القصاص،علم الاجتماع الديني،المنصورة ،كلية الآداب،جامعة المنصورة،مصر،2008 ، ص17

[2] فاروق إسماعيل،دراسة انتروبولوجية في منطقة دار،دارالنشر الجامعي ،1980 ،ص149

"والدين هو نظام أخلاقي متناسق مرتبط بثقافة المجتمع" نسق إيديولوجي يعبر عن منهجية مميزة للأسلوب الخاص بفكرة الفرد والجماعة ،كما أن الشعائر الإيديولوجية تمثل نزعة المحافظة على القديم ومقاومة التغيير وهي بلا شك تعمل على استمراريتها وضبط السلوك والقيم والأخلاق الخاصة بالجماعة من أجل المصلحة العامة "[1].

إذن الدين هو مجموعة من القواعد التي تنظم حياة الأفراد والجماعات وسلوكهم وهي الأسس التي تخضع لها الجماعة والأفراد من خلال صياغته لقوانين ومعايير السلوك الاجتماعي من حيث تحديد واجبات الإنسان نحو الله ونحو نفسه ونحو أفراد مجتمعه [2]

هذا عن الدين أما التدين فهو الطريقة التي يعبر بها المتدين عن علاقته بالدين، والتدين هو التجربة المعيشة و الشعور الديني،فالطقوس والممارسات والشعائر الدينية تترجم اعتقاداته وتعلقه بالدين،وتتميز طرق التدين بالاختلاف من دين لآخر وضمن الدين الواحد،فالدين الإسلامي تتعدد مذاهبه وطرقه إذ تتميز باختلافات واضحة بين الاتجاه السني والإباضي والشيعي والصوفي وحتى داخل الاتجاه الواحد .

من هذا المنطلق يجدر التركيز على أهم الطرق الدينية التي ميزت التاريخ الإسلامي للمجتمعات العربية عموما والجزائر خصوصا وهي الطرق الصوفية

---

[1] سيف الدين هيبة،مجلة الواحات للبحوث والدراسات،جامعة غرداية،العدد3،2008

[2] سلوى علي سليم،الإسلام والضبط الاجتماعي،مكتبة وهبة،القاهرة،1985،ص164

التي سيطرت على الحياة الفكرية والدينية والثقافية والاجتماعية،ومما زاد في تغلغلها نشأة الزوايا وتحولها إلى مؤسسات تربوية ودينية تعكس توجهات شيوخ الطرق الصوفية.

2. - التصوف و الصوفية:

التصوف الإسلامي هو منهج علمي يجمع بين العلم والعمل على معرفة الكتاب والسنة ، وهو ظاهرة روحانية مبني على الجد والاجتهاد لتحقيق مقام الإحسان والعبودية الكاملة الخالصة لله تعالى ،أما الصوفية فهي التطبيق العملي لذلك العلم ولأركان الإسلام .

وتحديد مفهوم كلمة تصوف ظلت محل اختلاف بين أهل العلم و المؤرخين والعلماء،ولتحديد مفهوم التصوف نورد البعض منها لتحديد مضمونه وحقيقته: "كلمة الصوفي عربية مشتقة بحسب الاشتقاق المتعارف عليه عموما من الصوف"[1]،الصوفية من "لبس الصوف دأب الأنبياء وشعار الأولياء و الأصفياء و الصديقين و المساكين والمتنسكين" [2].

كما أن هناك من نسبها إلى الصفاء و الصفوة من خلق الله . و"التصوف معرب من théosophie وهو لفظ يوناني مركب منThéoومعناه اله وSophie

[1]هنري كوربان،تاريخ الفلسفة الإسلامية ، تر:نصيرة مروة وحسن قبيس ،عويدات للنشر والطباعة، بيروت ، ط2،1998،ص282.

[2]إبراهيم محمد تركي،التصوف الإسلامي ـ أصوله و تطوراته ـ دار الوفاء،مصر،ط1،2008،ص26.

معناه الحكمة،و هي طريقة رياضية لمعرفة الله،يزعم أهلها مناجاته ووحيه إليهم ونيلهم منه عرفانا ومننا خاصة وأنه يتجلى لهم في الكون أو في الطبيعة حتى يمتزجوا به و مذهبهم وحدة الوجود، ولمريديهم في السلوك إلى هذه الغاية"[1].

ويعرفه الإمام الجنيد أبو القاسم القواريري:التصوف هو أن تكون مع الله بلا علاقة. وقيل التصوف هو الدخول في كل خلق سني و الخروج من كل خلق دنيء.[2] و الخلق الرفيع كالورع و الزهد و التوكل و الرضا ،والخلق الدنيء كالرياء والعجب والكبر والحسد وسوء الظن.

رغم الاختلافات العديدة حول تحديد المفهوم اللغوي للتصوف إلا أن المفهوم الاصطلاحي يرد عند ابن خلدون :"علم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة و كبارها من الصحابة والتابعين "[3] .

التصوف هو ظاهرة دينية ومفهوم معين للإسلام قوامه فلسفة روحية تعتمد على الذكر و الاعتكاف وفق أساليب تربوية مرهقة للنفس لحملها على الطاعة"[4]، ولا يكون التصوف إلا بفقه إذ لا تعرف أحكام الله تعالى الظاهرة إلا منه ولا فقه إلا بتصوف إذ لا عمل إلا بصدق توجه ولا هما إلا بإيمان ،إذ لا يصح واحد منهما

[1] مبارك بن محمد الميلي،تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج2 ،ص341.
[2] أحمد بن أحمد بن عجيبة الحسني،إيقاظ الهمم في شرح الحكم،المطبعة الجمالية،بحارة الروم،مصر، 191،ص4
[3] عبد الرحمن بن خلدون،المقدمة،اعتناء وتقديم:أحمد الزعبي،دار الهدى،عين مليلة،الجزائر،ص518
[4] التليلي العجيلي،الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية،منشورات كلية الآداب ،منوبة ، تونس،1992،ص27

بدونه ومنه قول مالك رحمه الله:"من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ،ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق،ومن جمع بينهما فقد تحقق" [1]

ويعرفه الدكتور عكاشة الشايف: "الصوفية لغة نسبة إلى الصوف ،وهو اللباس المفضل عند مريديها ،وقد أخذوه تقليدا عن الرهبان النصارى، والصوفية نوع من الزهد والغيبية ،وتمثل ردة فعل من العقلانية ...وكان التوكيد فيها على العاطفة (الحب الإلهي) وعلى النور الداخلي الذي يقذفه الله والتقرب الشخصي منه ،وعلى الزهد و التقشف للإنسان إلى معرفة الله و التقرب الشخصي منه، وأخيرا الاتحادية ،في سير تطورها أخذت الصوفية أيضا بعض الآراء المستمدة من البوذية كالاتحاد بالله والفناء فيه ...مما يشير إلى أثر الرهبة المسيحية في الصوفية الانقطاع للتأمل الروحي وإطالة الهجود و الصلاة[2].

عموما التصوف هو علم لم يشهده عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته وهو مبني على الاعتكاف في العبادة و الزهد في الدنيا،وهو أعلى مراتب العبادة أي الإحسان و السمو الأخلاقي إلى التوحيد و المحبة و المشاهدة،و الصوفي هو ذلك الزاهد العابد المنصرف بفكره إلى الله المبتعد عن الدنيا و ملذاتها و ترفها . والصوفي هو المنتسب للطريقة الصوفية ،وهي في الأصل سلوكات و ممارسات دينية أخرى تدخل في باب الذكر لم تنص عليها النصوص الإسلامية الرسمية كالأوراد و الذكر التي تقام في الزوايا .

[1] كمال الدين عبد الرزاق القاشاني،من صوفية القرن الثامن الهجري ـ اصطلاحات الصوفية ـ تحقيق وتعليق: محمد كمال إبراهيم جعفر،مركز تحقيق التراث،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1981،ص156.

[2] شايف عكاشة ،الحضارة العربية الإسلامية بين التطور و التخلف، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون،الجزائر،1994،ص86 -87.

3. الصوفية ومعتقد الأولياء الصالحين:

أ. الولي:

الولي لغة اسم من أسماء الله الحسنى ، الوِّلي هو الناصر،وقيل المُتَوَلِّي لأمور العالم و الخلائق القائم بها، و من أسمائه تعالى الوالي : وهو مالك الأشياء جميعها المتصرف فيها ، قال ابن الأثير:وكأن الولاية تشعر بالتدبير و القدرة و الفعل.[1]

والولي:الصديق و النصير قال الرسول صلى الله عليه و سلم :"مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِّي مَوْلاَهُ".أي من أَحَبَّنِي وتَوَلّاني فَلْيَتَوَلَّه ".وقوله تعالى :"الله وَلِّيُّ الذِّينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّور، والذِّينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون"[2].

أي وليهم في هدايتهم و إقامة البرهان لهم لأنه يزيدهم بإيمانهم هداية.ويعرف البعض الولي بأنه العارف بالله وبصفاته والمواظب على الطاعات المتجنب للمعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات المباحة وسمي وليا لأنه يتولى عبادة الله على الدوام[3].

كما دلت صفة الولاية ينالها المواظب والمقتصد سواء،قال تعالى:"أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا يَحْزَنُون،الذِّينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُون"[4].

---

[1] ابن منظور،لسان العرب،ج6، ص ص:490-491

[2] سورة البقرة(الآية 257)

[3] ابن تيمية ،الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان،مطابع دار البعث ،قسنطينة،1987،ص58-59

[4] سورة يونس(الآية 62 - 63)

و الولي كرمز مقدس مستنبط من معتقدات الصوفية،إذ كثيرا من أولائك الأولياء نالوا شهرتهم الواسعة وعرفهم الأتباع من خلال تشكيلات الطرق الصوفية المختلفة إذ تحمل الكثير منها أسم أحد الأولياء كالقادرية والأحمدية و الشاذلية"[1].

والولي من المنظور الديني الشخص التقي الصالح كالدعاة و الفقهاء و الزهاد ومشايخ الصوفية ، و في تعريف الولي والولاية تعتمد كتب المتصوفة على الرسالة القشيرية والتي جاء فيها تعريف الولي على معنيين:

أحدهما: فعيل بمعنى مفعول ،وهو من يتولى الله سبحانه أمره قال تعالى: "وهو يتولى الصالحين " فلا يكله إلى نفسه لحظة بل يتولى الحق سبحانه رعايته.
والثاني :فعيل مبالغة من الفاعل وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته،فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان... فلا يخلق له الخذلان الذي هو القدرة على العصيان ،"قال وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي وليا...فمن شرط الولي أن يكون محفوظا كما أن من شرط النبي أن يكون معصوما" [2]

من هنا يمكن ملاحظة الفرق بين أهل السنة و المتصوفة حول مفهوم الولي ،فأهل السنة لا يرون أحدا معصوما لا ولي ولا غيره عدا الأنبياء والرسل ،في حين الصوفية يجعلون العصمة شرطا للولي ،ومنهم من ينفي الولاية تماما عمن وقع في زلة أو خطيئة، و أبرزهم في ذلك القشيري نفسه[3]

[1]محمد الجوهري،مرجع سابق، ص389.

[2]أبو القاسم عبد الكريم القشيري ،الرسالة القشيرية،دار الكتب العلمية ،بيروت،2001 ،ص117
[3]نفس المرجع ،ص117

فالولاية مثلها مثل الإيمان يزيد وينقص بحسب الإيمان والعمل الصالح ، فلا يشترط للولي العصمة من بني آدم لقول الرسول صلى الله عليه وسلم:"كل بني آدم خطاء ،وخير الخطائين التوابون" ،لذلك يتجلى اعتقاد أهل البدع العصمة في مشايخهم و أئمتهم حتى وضعوهم في مرتبة الرسول صلى الله عليه وسلم في أحواله ومعجزاته بل وضعوهم في مراتب الألوهية مثلما ألّه اليهود والنصارى أحبارهم ورهبانهم.

"فليس من شروط ولي الله أن يكون معصوما لا يغلط ولا يخطأ ،بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ويجوز أن يشتبه عليه بعض علم الشريعة ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين"[1] ،ومن هذا المنطلق اعتقد الصوفية في الأولياء و ظهر الاعتكاف عند قبورهم ،ودعاء الأموات والاستغاثة بهم والتحدث بخصائص وقدرات أصحاب القبور.

ب. مكانة الولي في الثقافة الشعبية:

و الولي بمفهومه في الثقافة الشعبية ارتبط بفكر الصوفية الذي يقوم على مبدأ الولاية و انتشار الزوايا كمؤسسات دينية و تربوية على رأس كل واحدة شيخ له طريقته الصوفية التي يفرضها على مريديه ، ومن معتقدات الصوفية الملازمة للاعتقاد في الولي تحقق الكرامات وحدوث البركة و الضريح التي عملت على ترسيخها في المخيال الشعبي إلى اليوم ولتوضيح ذلك وجب تحديد المعاني الدالة على مكانته وقداسته ضمن التفكير الطرقي الذي انتشر بين عامة الشعب:

[1] ا بن تيمية ،نفس المرجع ،ص 73 - 74

ـ الكـرامـة:

لغة: الكرم :ضد اللؤم ،أكرمه و كَرَّمه:عظَّمه ونزهه ،الكريم :الصفوح ،ورجل مكرام :مكرم للناس [1]

الكرامة هي اسم مشتق من الكرم الدال على القدر والمنزلة والميل والعطاء والإكرام. والكرامة صفة وعلامة دالة على الزيادة والفضل والوفرة وحب الخير، فالكرامة هي اسم جامع لمعنى الفضائل الخلقية وجمعها مكارم وكرامات.

ـ اصطلاحا: يعرفها العلماء وأهل الأصول وغيرهم بأنها الأمر الخارق للعادة غير معروف بالتحدي ودعوى النبوة وهي الأمر الذي يظهره الله سبحانه على أوليائه إكراما لهم وهي إشارة لهم على صلاحهم.

والكرامة أمر خارق للعادة يجريه الله على يد عبد صالح لحاجة دينية أو دنيوية أي أعمال خارقة للعادة يمتاز بها كل ولي صالح وهي التي تحقق الشهرة لهذا الولي والالتفاف حوله أو حول ضريحه،ولتفرق بينها وبين المعجزة فالمعجزات للأنبياء والكرامات للصالحين[2]،وتعد الكرامة شرطا أساسيا للولاية عند الصوفية حتى أن كبار الصوفية لا يفرقون بين المعجزة والكرامة ويؤكدون حدوثها.

---

[1] ابن منظور،لسان العرب ،ج 5 ،ص ص:395-396

[2] مبارك بن محمد الميلي ،رسالة الشرك ومظاهره،دار البعث ،الجزائر،ط3،1982،ص127 .

أما في الثقافة الشعبية فالكرامة هي نوع من المعجزات المصغَّرة التي تحدث لبعض الأتقياء والصالحين للدلالة على صدقهم ورفعتهم وقدراتهم الخارقة والاعتقاد بأن الله يسبغ على أوليائه كرمه من خلال بعض الأفعال الخارجة عن قدرات الإنسان العادي في حياته وتستمر حتى بعد مماته.

في ظل انتشار الطرق الصوفية أصبح التصوف حرفة والكرامات مؤهلها الأساسي إذ كان للأولياء طرقهم الخاصة في انتحال ما يخدعون به العامة من خوارق الأمور والمعجزات الحسية لزيادة نفوذ ذلك الشيخ أو الولي.وبذلك انخرط العامة في الاعتقاد في الأولياء والإيمان بالأساطير حتى وضعت الصوفية الأولياء فوق مرتبة الرسل وأقرنتهم بالله تعالى وأعطتهم ما لله من قدرات في تصريف أحوال البشر،والاستغاثة بهم والعكوف عند القبور ودعاء الأموات والتحدث بخصائص وقدرات أصحابها .

- البركة:

لغة :من فعل بَرَكَ،و البركة :النَّماء و الزيادة،و التبريك :الدعاء للإنسان أو غيره بالبركة. يقال :برَّكتُ عليه تبريكا أي قلت له بارك الله عليك.و بارك الله الشيء و بارك فيه و عليه وضع فيه البركة،وفي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم"...و بارك على محمد و على آل محمد..."أي أثبت له وأَدِم ما أعطيته من التشريف و الكرامة[1].

[1] لسان العرب ،ج 1 ،ص197

ـ **إصطلاحا**: هي الاعتقاد في كرامات الأولياء الصالحين و قدرتهم على إيصال الدعوات و تحقيق الأمنيات و الإيمان بقدراتهم الخارقة في الشفاء و جلب الغيث و درء البلاء بل وإنزال العقاب وفرض الخضوع و الركون[1].

من هذا المنطلق ترسخت عقيدة المرابط والشيخ و نشأت العلاقة بين الشيخ ومريديه القائمة على الالتزام بالطاعة و الولاء للشيخ في حياته و حتى بعد موته إذ كثيرا ما كان يدفن شيخ الزاوية داخلها أو يقام له ضريح كنصب تذكاري في شكل مكان مقدس للزيارة و التبرك ، فتمارس الطقوس و الشعائر و الاحتفالات تعظيما للشيخ أو الولي الصالح و بذلك انتشرت الأضرحة والمزارات في القرى و المدن و تكونت المعتقدات الشعبية المرتبطة بها.

ـ الضريح:

الضَّريح مأخوذ من كلمة ضَرَح،و ضرح الشيء أخفاه أرضا ولغويا يعني القبر.وفعل ضرح أي حفر وشق التراب أو الأرض.

الضَّرِيحُ: هو شق في وسط القبر، وقيل الضريح هو القبر كله [2]،إذن فالضريح هو القبر لأن الأصل فيه هو الدفن ،و "قد أطلقت هذه التسمية على البناء المقام على قبر ولي صالح تعلوه قبة، لقد اقترن الحديث عن الضريح بقبر ولي من أولياء الله الصالحين أو سلطان من السلاطين أو بعالم من العلماء و قد شاع

[1] فاطنة بولغيتي،مظاهر التفكير الخرافي في المجتمع الجزائري، مجلة عود الند،العدد101 ،2014.
[2] ابن منظور،لسان العرب،ج 4 ،ص117.

مصطلح المقبرة و التراب رمزا للضريح ،أما القبر فهو آخر مثوى للإنسان البسيط أو العادي[1]" .

و الضريح هو معلم ديني مقدس توفرت فيه سمات العظمة والهيبة ،حيث لا يكاد يخلو أي ضريح من قبة ويمتاز بالبياض يقصده الأوفياء لوليهم من خلال انجاز طقوس عقائدية كالقرابين و الشموع و البخور و غيرها،والضريح يكتسي مكانة خاصة ومقدسة عند الطرق الصوفية خاصة تلك التي تضم رفات شيوخ الطرق الصوفية المعروفين حتى أصبحت أضرحة الورعين والمتعبدين معابدا يقصدها الورعون والزوار كما يقصدون المسجد من خلال انجاز أعمال ومعتقدات أشبه بطقوس التضحيات والقرابين.

تعتبر(الكرامة،البركة، الضريح) أهم أسس الاعتقاد في الأولياء الصالحين وتقديسهم لدى الصوفية ، ومما زاد في ترسخ هذه المعتقدات سابقا غياب التعليم و الفهم الصحيح للإسلام الشيء الذي جعل الزوايا قبلة للسكان وملجأ للأمان وتحقيق الأمنيات من خلال الاعتقاد في الأولياء و كراماتهم الروحية [2] هذا إلى جانب الدور الذي كان يؤديه شيوخ الزوايا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية مما أعطاهم تلك السلطة الروحية التي استغلت لتحقيق ذلك النفوذ في الأوساط الشعبية فأصبح الشيخ أوالمرابط أساس السلطة الروحية تسعى الغالبية لنيل بركته ورضاه في حياته وبعد موته .

[1]محمد سعيدي،ظاهرة الأولياء والأضرحة في منطقة تلمسان وأبعادها الاجتماعية والنفسية،مطبوعات الكراسك،وهران 1995،ص40

[2]مهدي محمد القصاص،علم الاجتماع الديني ،كلية الآداب،جامعة المنصورة،مصر،2008،ص47

لقد ساهمت الطرق الصوفية التي سيطرت على عقلية المجتمع الجزائري في الماضي في تثبيت هذه المعتقدات و جعلها مقدسة ضمن ثقافته الشعبية و خاصة مع تكرار تلك المواعيد السنوية المخصصة للأولياء الصالحين و المعروفة "بالوعدة".

إذن تشكل مجموع المعتقدات الشعبية المرتبطة بتقديس الأولياء في حياتهم ومماتهم من خلال الاعتقاد في القبور والأضرحة والأمكنة المحيطة بالأضرحة أهم أسباب استمرار تلك الطقوس المرتبطة بظاهرة الوعدة منها زيارة الأضرحة و التبرك والإطعام والحضرة وغيرها من المظاهر ،وبذلك تشكل الطقوس والمعتقدات الشعبية كلا لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، والوعدة هي الضامن الأساسي لاستمرار ذلك.

III. التصوف الطرقي في الجزائر:

1. نشأته وانطلاقه:

ظهر التصوف بالمشرق الإسلامي خلال القرن الثاني الهجري وتبلور مع القرن الثالث الهجري ومنه انتقل إلى المغرب منذ القرن التاسع الهجري بفضل العلامة أبي حامد الغزالي الذي كان لكتبه (أصول الفقه،إحياء علوم الدين وغيرها) ولمدرسته دورا كبيرا في انتشار التعبد والزهد ،"إذ لم يكن بالمغرب شأن للصوفية إلى أن جاءت الدولة المؤمنية التي فتحت المجال أمام إنتشار التيار الصوفي من خلال نشر العلوم والمعارف ونصر الفلسفة ،فظهر من الصوفية رجال ذوو علم طار صيتهم في الآفاق ولكن لقوة نفوذ الدولة لم يتغلبوا على

العامة حتى سقطت وخلفتها دول تنازع أمراؤها أمرهم بينهم فضعف سلطانهم،وعلت كلمة الصوفية فمثلوا أدوارهم مع العامة وكان ذلك مبتدأ انحطاط الجزائر والمغرب دينيا وسياسيا"[1].

وتميز التصوف في المغرب العربي عامة والجزائر خاصة في مراحله الأولى بالتصوف العلمي المستمد من الدين الصحيح المبني على التفقه في الدين ومعرفة الكتاب والسنة معرفة دقيقة إذ برز علماء أجلاء ساهموا في تنوير العقول وتعليم أصول الدين و التصوف السني الحقيقي على غرار "أبي مدين شعيب الأندلسي "دفين تلمسان (492 هـ /1098 م ،توفي591ت هـ/1194 م)، (علي بن عبد الله المشهور بأبي الحسن الشاذلي (المتوفي 655 هـ/ 1258 م)،"عبد الرحمن الثعالبي"،"محمد الهواري"و غيرهم من العلماء الذين جمعوا بين العلم والعمل ومعرفة الكتاب والسنة معرفة دقيقة إضافة إلى الورع والتقوى و الابتعاد عن مغريات الدنيا وذلك هو حقيقة التصوف.

أما بعد سقوط الدولة الموحدية إلى غاية بداية العهد الاستعماري فقد غرقت المنطقة في الصراعات السياسية و الفوضى و سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية وتراجع التعليم ودور المؤسسات التعليمية خاصة الدينية وغلق باب الاجتهاد الديني وهجرة العلماء ،مما أدى إلى انحراف العقائد والسلوك الديني فساد التصوف العملي بما فيه من حضرة و أوراد و اعتقاد في المرابط[2].

[1] مبارك بن محمد الميلي،تاريخ الجزائر القديم والحديث ،ج2،ص347

[2] أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي،ج 1،المؤسسة الوطنية للكتاب،1985،ص52

لقد زاد انتشار الفكر الصوفي في المغرب الإسلامي مع انتشارا لطرق الصوفية منذ القرن(9 هـ /15 م) بظهور الطريقة الكبيرة التي تنتسب إلى أبي عبد الله محمد الجازولي(869 هـ /1465 م)وظهرت فروع كثيرة للشاذلية لعبت دورا كبيرا في الحياة الدينية للمغرب وتحول التصوف من مكانته إلى حلقات الرقص الصوفي والذكر والصلوات مما جعل التصوف يحيد عن أي وعي تفكيري.

2. الطرق الصوفية:

الطريقة :الطريق هو السبيل ،والطريق الصوفي هو وسيلة السفر إلى الله تعالى، والمريد هو السالك لهذا الطريق أو المسافر إلى ربه ولهفة المشتاق والذي يسير فيه مقاما بعد مقام حتى يصل إلى بارئه.

الطريقة الصوفية هي جماعة من المريدين الذين يتلقون العهد من طرف شيخ الطريقة أو من يمثله من أجل الوصول إلى المعرفة الحقيقية ،من خلال سلوكات وأفعال وحالات (أذكار،تسابيح،أحزاب،صلوات...) والذين تجب عليهم الطاعة والامتثال،ويكون عدد أفرادها غير محدود وعلى رأسها يوجد شيخ الطريقة ،وهو مؤسسها والذي يستخلف بعد مماته يرث سلطته الروحية، وغالبا يكون الوريث ضمن العائلة تبعا لرغبة الشيخ قبل وفاته .

تتكون الطريقة من الشيخ وخلفائه أو نوابه يليهم النواب الجهويون والمحليون والمقدمون ،وينحصر دورهم في تلقين التلاميذ والمريدين قواعد الطريقة التي ينتمون إليها.هذا ويترأس الشيخ الحضرة في الزاوية ويسعى إلى انخراط الأعضاء الجدد ويجمع أموال الزيارات والهدايا وأوقاف الزاوية ويسير الزاوية.

لقد تطورت الطرق وانتشرت عندما انتقل أولئك الزهاد من خلواتهم إلى الرباطات حيث بدأوا في نشر تعاليمهم الصوفية ،وبذلك تحولت الرباطات من دورها الحربي والجهادي إلى الدور التعليمي،إذ كان على رأس كل رباط شيخ، وبذلك أصبح المرابط ليس رجل الحرب الذي يرابط في الثغور بل رجلا ذا سلطة روحية ونفوذ قوي على الناس بسبب ما ينسب إليه من كرامات وخوارق.[1]

استطاعت الطرق الصوفية أن تتغلغل في أوساط الجماهير الشعبية المغربية وتنشر بعض المعتقدات الدينية الغريبة التي ظلت محل استهجان ورفض علماء السنة على مدى السنين،ومن الطرق الأكثرانتشارا في المغرب الإسلامي الطريقة القادرية والطريقة الشاذلية بكل فروعها(درقاوة ،العلاوية ،الهبرية...)* وبذلك أصبح التصوف مظهرا مميزا للحياة الثقافية والدينية في المنطقة مهد لنشر الكثير من المعتقدات والأساطير والممارسات التي ساهمت في نشر فكرة الأولياء الصالحين ،وخلفت الجمود وتسببت في انحطاط الحضارة الإسلامية والتخلف الفكري لدى طبقات الشعب،وبالتالي زاد الاعتقاد في الأولياء وكراماتهم ،فزادت سلطتهم الروحية واتسع نفوذهم وكثر عددهم. [2]

3. الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر:

[1] فيلالي مختار بن الطاهر،نشأة المرابطين والطرق الصوفية،دارالفن للطباعة،باتنة،ط1،1976، ص23

* الطريقة الدرقاوية هي إحدى فروع الطريقة الشاذلية أسسها محمد العربي بن أحمد المشهور بالدرقاوي وهو من الأشراف الأدارسة بالمغرب ،انتشرت بالجزائر،توفي الشيخ الدرقاوي سنة 1823 م ومن فروعها العلاوية والهبرية.

[2] فيلالي مختار،نفس المرجع ،ص19

لقد ساهمت الزوايا بشكل كبير في انتشار الفكر الصوفي في الجزائر والمغرب الإسلامي .

والزاوية هي مؤسسة دينية اعتمدها مذهب الطائفة الصوفية لنشر ثقافة الإسلام الطرقي الذي يعتمد التربية الروحية ،وهي بناء بسيط قليل النوافذ يضم مصلى ومدرسة قرآنية وبنايات أخرى لأخرى لإقامة المريدين والزوار ،لا توجد بها مئذنة ،انتشرت في الأرياف والمدن والصحاري.[1]

والزوايا هي أيضا مكان موجه لضيافة العابرين وإطعام المسافرين ،تحولت فيما بعد إلى مكان للزهاد وطلاب العلم وحفظة القرآن .تتميز الزوايا ببنائها البسيط وعلى رأس كل منها شيخ الزاوية مكلف بالتعليم وله معاونوه وعدد من الخدم المتطوعين ،تتمثل مواردها من الأوقاف والزكاة والهدايا وما تتلقاه من أفراد القبيلة و أتباعها وتبرعات المسافرين و ما يقدمه زوار الزاوية إلى غير ذلك من الموارد[2].

وفي ظل ضعف الدويلات الإسلامية في المغرب الإسلامي في الدفاع عن البلد أصبحت الزوايا والرباطات مؤسسات للجهاد والتحريض على مواجهة العدو، ومن خلال دورها هذا ظهر لفظ المرابط وتحولت حركة المرابطين إلى حركة واسعة الانتشار خاصة في المغرب الأوسط مع بداية القرن 15 م حيث أصبح كل ناسك أو زاهد مرابط لقد ساهم نفوذهم الديني والسياسي في نشرهم للخرافات والبدع التي تقبلتها العامة كالاعتقاد في الأولياء وفي قدراتهم، وأدى الإقبال عليهم إلى رفع مكانتهم وتوسع نفوذهم مما جعلهم يدعون الولاية ويظهرون

[1] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق ص470

[2] فيلالي مختار،نفس المرجع ،ص27

مظاهر الزهد والعبادة ،وتحولت الولاية إلى وراثة الابن لأبيه ،ومن هنا كانت الفكرة القائلة : بأن البركة الإلهية تفيض على الولي ثم تنتقل إلى ذريته فيصبح جميعهم شيوخا يلتمس منهم الناس البركة كما تتسابق القبائل لتكون لكل منها وليها يعزز شوكتها ويدعم مركزها ويصبغ عليها بركته مما ساهم في انتشار الأولياء[1].

إذن كان لهذه الظروف الخاصة بانتشار فكرة المرابطين والزوايا دورا كبيرا في نشر الفكر القائم على تقديس الأولياء والإيمان ببركتهم والتي ذاع صيتها وفكرها خاصة في الأرياف في ظل انتشار الجهل وغياب المؤسسات التعليمية لتحل محلها الزوايا كمؤسسات دينية وتربوية واجتماعية على رأس كل واحدة شيخ طريقة صوفية.

لقد ساهمت الزوايا انطلاقا من أدوارها في المجتمع للترويج لأفكار المرابطين وبركاتهم من خلال حلقات الذكر وتلاوة الأذكار الصوفية والحضرة مما يستقطب العديد من الأتباع والمريدين ،وتنظم تلك الزوايا زيارة للقبور في جماعات واتخاذ المشاهد والوعدات وذلك لخلق مناسبة تذبح أثناءها الذبائح ،وتقدم الهدايا والأموال للشيخ[2].

خلاصة القول لقد انتشرت الطرق الصوفية في الجزائر منذ بداية القرن 15 م ، ونمت وتوسعت مع النصف الثاني من القرن18 م والربع الأول من القرن 19 م

[1] نفس المرجع،ص24

[2] نفس المرجع ،ص57

وبالمقابل انتشار الزوايا ،وفي هذه الظروف انتشرت الزوايا والأضرحة أكثر مما انتشرت المدارس والمساجد خلال العهد العثماني[1].

أ. ـ الطرق الصوفية والزوايا في العهد العثماني:

انتشرت الطرق الصوفية خلال الحكم العثماني وقوي نفوذها الديني وتأثيرها الثقافي والسياسي والاجتماعي ،لأن العثمانيون عرفوا قبل ذلك بولائهم للطرق الصوفية كالبكداشية والمولوية والقادرية ،ودعمهم لشيوخ الزوايا والطرق لضمان استقرار حكمهم خاصة في المناطق النائية والريفية من خلال التحالف مع المرابطين .

لقد انتشرت الطرق الصوفية في الجزائر منها من حافظت على جوهر التصوف ومنها من ابتدعت فيه من خلال الأذكار والأوراد والتسابيح المفروضة على المريدين والأتباع .

من أبرزها:الشاذلية (أبي الحسن الشاذلي:593 هـ /1172 م،توفي سنة 658 هـ /1258 م)،العيساوية(أحمد بن عيسى 936 هـ /1529 م)، الطيبية(1089 هـ/1678 م)،القادرية(1125 هـ/1714 م)، الرّحمانية (1208 هـ/ 1793 م)، العلاوية (1291 هـ/1874م)، السنوسية(1250 هـ /1834 م)،وكل طريقة من هذه الطرق لها زوايا كثيرة تعد بالعشرات وأحيانا بالمئات في معظم أنحاء البلاد.

وفي ظل ضعف السلطة العثمانية الحاكمة "ازداد نفوذ الزوايا وشيوخها فكثرت الطرق والزوايا والأضرحة وغرقت البلاد في هذا العهد في التصوف والدروشة،

[1] أبو القاسم سعد الله،مرجع سابق،ص496

وأصبح الحكام يظهرون الاحترام والتبجيل لأهل التصوف ،ويتقربون إليهم ببناء الزوايا والوقف عليها وإعفاءها من الضرائب ..."[1].

"لقد ساهم هذا التحالف بين الحكام العثمانيين والمرابطين في ابتعادهم عن دورهم الحقيقي وتحولهم إلى أداة إفساد من خلال انتشار البدع وسيادة الجهل وانحراف أهل الطرق الصوفية عن التصوف الحقيقي وتحالف هؤلاء مع الظلمة واللصوص والولاة الفاسدين[2]".

"لقد أصبح من شعار بعض المرابطين زيارة القبور في جماعات وإظهار أحوال خاصة واتخاذ المشاهد و الوعدات ،وذلك لخلق مناسبة تذبح أثناءها الذبائح وتقدم الهدايا والأموال للشيخ واجتماع الناس على اختلاف جنسهم و اعتمارهم للتجمع في المكان المتفق عليه الذي قد يكون زاوية الشيخ نفسها" .[3]

في ظل هذه الأوضاع انتشرت الأضرحة والزوايا بل وتقرب الحكام من أهل التصوّف ببناء الزوايا والوقف عليها وإعفاءها من الضرائب،فأغدقوا عليهم العطايا والهدايا لذلك انحرفوا عن التصوف الحقيقي مقابل سكوتهم عن جور وظلم الحكام، وبذلك انتشرت الخرافات والأوهام.

وفي هذا الصدد يقول أحمد أمين: "فقد الدين روحه وصار شعائر ظاهرية لا تمس القلب ولا تحيي الروح،وسادت الخرافات وأصبح التصوف ألعابا بهلوانية والدين مظاهر شكلية.. والتمسح بالقبور والتوسل بالأولياء هو وسيلة النجاح"[4].

---

[1] أبو القاسم سعد الله،نفس المرجع،ص265

[2] المرجع نفسه،ص479

[3] المرجع نفسه، ص489

[4] أحمد أمين،زعماء الاصلاح في العصر الحديث،بيروت ،دار الكتاب العربي،ص 8 - 11

ويقول في موضع آخر "هؤلاء الأولياء يحج إليهم الناس ويقدمون لهم النذور ويعتقدون أنهم قادرون على النفع والضر". لقد تحالف الحكام مع أولائك المرابطين ورجال الطرقية لضمان ديمومة حكمهم واستقراره أكثر مما كان همهم تحقيق التقدم الفكري ونشر الدين الصحيح.

لقد كان لكل طريقة صوفية منهجها الخاص وشيخها ومريدوها وعلى هؤلاء الالتزام بها وملازمتها والخضوع لشيخها حتى يفارق الحياة، وبذلك يصبح المريد مسلوب الإرادة ويصبح شيخ الطريقة الواسطة بينه وبين الله، كما أصبح الانقياد شرطا أساسيا سواء في حياته أو مماته.

إن هذه الأوضاع السياسية و الاجتماعية والثقافية التي ميزت الفترة العثمانية في الجزائر ساهمت في انتشار الاعتقاد في الأولياء و تأثر العامة من الناس بهذه الخرافات فاعتقدوا في قدرة وخوارق الولي، حتى أن بعضهم اعتبر قدرة الولي أقوى من قدرة الله. وهكذا غرقت البلاد في التصوف والدروشة فأصبح العلماء (الفقهاء)يتباهون بأخذ الطرق والأذكار والخرقة والسبحة و...وأصبح الحكام يظهرون كل الاحترام والتبجيل لأهل التصوف الحقيقي والكاذب معا .أما العامة فلا تسأل عن أحوالها وعقائدها [1].

لقد تمخض عن هذا الوضع انتشار الفوضى الدينية وكثرة الخرافات والدجل واستغلال المرابطين* للعامة وتخديرهم من خلال تنظيم الاحتفالات وما كانوا

[1] أبو القاسم سعد الله ،نفس المرجع ،ص467

* المرابط:في اللغة العربية تعني الفرد الذي يعيش داخل الرباطات العسكرية،والمرابطون إسم إرتبط بالخلافة الإسلامية في المغرب وإسبانيا خلال القرن 11 و12 م ،وفي شمال إفريقيا مثلت حركة دينية وسياسية مثل الشرفة في المغرب الأقصى ،وتستند إلى أفكار شعبية وإعتقادات باطلة مثل أن الولي حبيب الله (**Derminghem (E) ,le culte des saints dans lIslam maghrebin**)،ويطلق الإسم على شيوخ الطرق الصوفية و رؤساء الزوايا الذين ينحدرون من السلالة الشريفة من أبناء علي كرم الله وجهه أو أحد الصحابة مما أعطاهم النفوذ والسيطرة على القبائل.

يقدمونه من أفكار تدعو إلى عدم التدبر وتحكيم العقل وفق القاعدة الطرقية « اعتقد ولا تنتقد» .

خلاصة القول إن سيادة الجهل والتخلف الذي ميز فترة الحكم العثماني في الجزائر وعدم الاهتمام بالتعليم الحديث ومؤسساته سهل الطريق للطرق الصوفية والزوايا أن تقوم بدورها التربوي والديني على الأسس الصحيحة ،فاستغلت العامة من طرف شيوخ الزوايا والمرابطين في نشر التصوف الطرقي،حيث أصبح كل درويش وليا وصاحب كرامات وكل مستغل للعامة باسم الدين ومتقرب من السلطة باسم الطريقة يعتبر قطبا تأتيه الجبايات ويقصده الناس بالقرابين والحكام بالعطايا والهدايا ،وقد عمت الخرافة الجميع ،في عصر ساد فيه التخلف مما مكن أشخاصا يدعون دعوات مضلة ،ومع ذلك قد سمح لهم بالنشاط لأن الحكام لم يعنيهم التقدم الفكري بقدر ما كان يعنيهم بناء المساجد وإيقاف الأوقاف عليها وتأدية الشعائر والتقرب من الأولياء والصالحين لضمان الاستقرار لحكمهم واستمرار سيطرتهم على الشعب ،وتولد عن هذا الوضع كثرة الفوضى الدينية وكثرة الخرافات وحلول السحر محل العلم واستغلال المرابطين للعامة أبشع استغلال وإغراق عقول العامة في ظلام دامس[1].

ب. ـ الطرق الصوفية والزوايا أثناء الاحتلال الفرنسي:

بحلول الاستعمار الفرنسي في الجزائر تعرض الدين الإسلامي ومؤسساته إلى حملة شرسة أريد من خلالها القضاء على مقومات الأمة ونشر الجهل من خلال السيطرة على معاهد الثقافة الإسلامية والمساجد والمدارس والزوايا ،إذ حول الاستعمار بعضها إلى كنائس والبعض الآخر إلى ثكنات عسكرية ،خوفا من أن

[1] أبو القاسم سعد الله،نفس المرجع ،ص480 -481

يكون الدين الإسلامي عامل تماسك أفراد المجتمع ودافعا لشحذ الهمم ومواجهة المستعمر .

تتعدد الأساليب الاستعمارية في محاربة الثقافة المحلية منها المعلنة وغير المعلنة، ويمكن إيجاز تلك السياسة في القضاء على المساجد والزوايا وتقليص عددها، والاستيلاء على الأوقاف الإسلامية وإلغاء القضاء الإسلامي بسلسلة من القرارات والقوانين ومن جهة أخرى دعم الجهل والخرافات والبدع عن طريق تدعيمه للفكر الطرقي ومؤسساته ورجالاته.

لقد شكلت الزوايا والطرق الصوفية حصنا منيعا أمام محاولات الاستلاب الاستعمارية من خلال تحريض مريديها وأتباعها في التصدي للمستعمر وأبرز تلك الطرق الطريقة القادرية التي ينتمي إليها الأمير عبد القادر الذي دامت مقاومته من 1832 - 1847 م والطريقة الرحمانية التي تنتمي إليها لالّة فاطمة نسومر والطريقة الدرقاوية وغيرها من المقاومات والانتفاضات الشعبية التي شكلت الزوايا أهم ركائزها وشيوخ الطرق الصوفية قادتها والمحرضين عليها .

إضافة إلى دورها الديني والتربوي فقد كان للزوايا والطريقة الصوفية دورا كبيرا في تلاحم أفراد القبيلة أو القبائل لذلك عمدت الإدارة الاستعمارية على نشر التفرقة والنزاعات داخلها بهدف تشتيت القبائل وتفكيك البنية الاجتماعية للمجتمع من جهة ونشر الجهل والخرافات من جهة أخرى واستسلام أفراد المجتمع لأفكار الطرق منها "أن الاستعمار قضاء وقدر" ومقولة "اعتقد ولا تنتقد" التي كبلت العقول لمدة من الزمن وأوقفت مسيرة الجهاد أيضا.

من خلال الدور المنوط بالزوايا والطرق الصوفية لم يدخر الاستعمار جهدا في القضاء عليها من خلال مصادرة ممتلكات المؤسسات الدينية المتمثلة في أوقاف

المساجد والزوايا ومنع جمع الأموال التي تستغل في شراء السلاح والعتاد للمقاومة،وفي تعليم الصبية علوم الدين ،إضافة إلى منع تنظيم الاحتفالات والتجمعات إلا بترخيص من السلطات الاستعمارية وكل ذلك بهدف مراقبتها وتقييد أدوارها .

لقد كان لهذه السياسة دورا كبيرا في تراجع مداخيل الزوايا وبالتالي تراجع دورها التعليمي والتربوي والجهادي لتتحول عن ذلك كله إلى جمع التابعين والاعتكاف على العبادة والذكر و الحضرات وترديد الغناء والرقص الصوفي والانعزال عن الدنيا وتصوير ما حل بالبلد على أنه قضاء وقدر بسبب الذنوب وعلاج ذلك هو تزكية النفس وتطهيرها من الخطايا .

إن سياسة التجهيل الممارسة على الشعب الجزائري وموقف فرنسا من المؤسسات التعليمية والدينية كلها عوامل أدت إلى زيادة نشاط الزوايا والطرق الصوفية وتكاثرها في الجزائر" لقد بلغت الزوايا مبلغا عظيما من التأثير في الفكر الإسلامي في الجزائر خلال القرن التاسع عشر ميلادي حتى بلغت على اختلافها 349 زاوية ووصل عدد أتباعها 300 ألف تابع ، وهذه ليست ظاهرة صحة على الإطلاق عن حالة الفكر والثقافة في الجزائر،وإنما دليل قوي على جمودها و انحطاطها العام الذي رسمه مؤسسو تلك الطرق وهو التصوف والرياضة الروحية ونشر الدعوة الإسلامية الخالصة من البدع والأضاليل المنافية للدين بين الناس والتبشير بالإسلام بين غير المسلمين .[1]

ومن أهم الطرق الصوفية انتشارا في الجزائر:

[1] رابح تركي ،الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب،1985 ،ص86

ـ **الرّحمانية**: أسسها محمد بن عبد الرحمن القشتولي الجرجري ،شاركت هذه الطريقة بشكل رئيسي في ثورة المقراني 1871 ،كان تواجدها الرئيسي في منطقة القبائل وقسنطينة والجزائر،احتواها الاستعمار إلى صفوفه فيما بعد.

ـ **التّيجانية**:تأسست في مدينة فاس المغربية سنة 1782على يد أحمد بن محمد مختار التيجاني المولود في عين ماضي بالأغواط سنة 1150 هـ،امتدت إلى السودان وقلب إفريقيا، توفي بفاس(1230 هـ - 1815 م)[1]،يؤخذ عليها مساندة الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

ـ **القادرية**:تنسب إلى الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني(1079 م - 1166 م) المولود في مدينة جيلان (فارس)امتدت إلى أواسط إفريقيا في أواخر القرن 15 م ثم انتقلت إلى المغرب العربي [2]،عرفت بوطنيتها وحملها للسلاح ضد الاستعمار الفرنسي إذ كان الشيخ محي الدين وابنه عبد القادر أحد شيوخها وزعماء المقاومة الوطنية.

ـ **الشاذلية**:مؤسسها أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد بن عبد الجبار من الأشراف الأدارسة ولد بمراكش593 هـ 1172 م ،ارتحل إلى قرية شاذلة بتونس،ثم إلى الإسكندرية بمصر ،انتشرت في معظم الدول العربية والإسلامية بما فيها الجزائر ،وتعد معظم الطرق الصوفية المنتشرة في الجزائر فروعا لها.

---

[1] عبد الوهاب الشريف،الوسيلة إلى الله في القبول،دار المنهاج القويم للنشر والتوزيع،دمشق،سوريا،ط1، 2009 ،ص153

[2] أحمد الخطيب،جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1985 ،ص57

ـ **الدرقاوية**:أصلها شاذلي أسسها أبو حامد محمد العربي بن أحمد المشهور بالدرقاوي وهو من الأشراف الأدارسة ،وهي من فروع الشاذلية ومن فروعها العلاوية و الهبرية، انتشرت في الجزائر.

ـ **الموسوية الكرزازية**:أسسها أحمد بن موسى بن خليفة الحسني المشيشي ولد سنة 897 هـ/1492 م ،تعلم بفاس ،استوطن قرية كرزاز(أدرار حاليا)،أسس طريقته المسماة بالشاذلية الكرزازية،توفي 1018 هـ/1610 م،تعرف بالطريقة الموسوية الكرزازية. [1]

لقد شجع هذا الوضع الثقافي والاجتماعي الذي حل بالبلاد خدمة الاستعمار الفرنسي وأهدافه الخفية من خلال تحويل هذه الأمة عن دينها وهويتها ،وذلك ما تحقق له من خلال دعمه لبعض الطرق والزوايا وانتشار الأضرحة والقباب عبر أنحاء البلاد في القرى والأرياف والتي تحولت إلى مزارات تقام فيها الوعدات والولائم وتضاء فيها الشموع وتقبل فيها الحجارة ،"وفي أوائل القرن أصبحت ترى فوق كثير من الربى الجزائرية وضمن أغلب الدووار وداخل كل مدينة قبابا بيضاء للسادة الأولياء الذين كان منهم الصالح ومنهم المخبول عقليا ،وكثير من القباب وخاصة في الغرب الوهراني تجدها خالية من الأضرحة لأنها مقامات للشيخ عبد الرحمن الجيلاني الذي لم تطأ قدماه المغرب العربي بتاتا."[2]

وفي هذه الظروف تحولت الطرق الصوفية من العلمية إلى العملية كالحضرات والأذكار و الأوراد و الاعتقاد في الأولياء كما أصبحت الزوايا ملاذا للبسطاء من

[1] عبد الوهاب الشريف،المرجع السابق ،ص239

[2] نفس المرجع،ص86

العامة يعتقدون في شيوخها و كراماتهم و يتخذون من قبورهم مزارات تقام لأجلها مختلف الطقوس و النذور، و تحولت معها الزوايا إلى مؤسسات دينية واجتماعية و تربوية لكل منها منهجها استطاعت أن تستغل العامة من الشعب بفضل المعتقدات التي زرعتها. وبذلك رسخت عقيدة الولي وقدراته والشرك بالله وبذلك شجعت الإدارة الاستعمارية مثل هذه المناسبات الموسمية (الوعدة)لنشر الخرافات .

وبذلك تظافرت السلطتان الاستعمارية والروحية من أجل تخذير الشعب وتركه يموج في بحر الخرافات أساسها تقديس الأشخاص كون اللاشعور الجمعي لا زال لم يتخلص من الخرافات المترسبة ولا يزال منجذبا نحو تقديس الأفراد وتحويلهم إلى شخصيات ملهمة وميتافيزيقية تستوجب طاعتهم وعدم مواجهتم وتخطيئهم. ومما زاد في هذا الوضع كثرة الجهل والأمية والقضاء على معاهد العلم ومراكز الشعب وإبعاده الثقافة وخيرة العلماء ومعظم التراث الفكري الإسلامي ،وكل ذلك من أجل تخذير عن الكفاح وتحرير بلاده ونشر التواكل والكسل وتثبيط الهمم في الاستعداد لطرد المحتل بدعوى أن وجود الاحتلال في الجزائر من باب القضاء والقدر الذي ينبغي التسليم به والصبر عليه"[1].

ـ موقف جمعية العلماء المسلمين من الطرق الصوفية:

أمام خطورة الأوضاع الإجتماعية والثقافية والدينية التي آل إليها المجتمع الجزائري جراء سياسة التجهيل الممارسة من طرف الاستعمار و الطرق والزوايا المتعاونة معه ، عملت جمعية العلماء المسلمين بعد تأسيسها في5 ماي 1931م

[1] رابح تركي ،نفس المرجع،ص99

على التصدي لهذا الوضع حيث يقول الشيخ الإبراهيمي:"إن البلاء المنصب على هذا الشعب المسكين آت من جهتين متعاونتين عليه ، أو بعبارة أوضح من استعمارين مشتركين يمتصان دمه ويفسدان عليه دينه ودنياه: استعمار مادي هو الاستعمار الفرنسي..واستعمار روحاني يمثله مشايخ الطرق المؤثرون في الشعب، والمتغلغلون في جميع أوساطه و المتاجرون باسم الدين والمتعاونون مع الاستعمار عن رضا وطواعية...والاستعماران متعاونان يؤيد أحدهما الآخر بكل قوته ، وغرضهما معا تجهيل الأمة لئلا تفيق بالعلم ...و تفقيرها لئلا يستعين بالمال على الثورة...وإذن فلقد كان من سداد الرأي أن تبدأ الجمعية بمحاربة هذا الاستعمار الثاني لأنه أهون وهكذا فعلت"[1].

لقد أصبح الطرقيون حجر عثرة في وجه التقدم والتطور ،وانطلاقا من موقف الجمعية من الطرقية وخطورتها على الشعب بدأت بمحاربة البدع والخرافات والأباطيل التي استحدثت في الأمة ،إذ نص الأصل الرابع عشر من قانونها الأساسي أن الأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف تنكرها الجمعية: "إعتقاد تصرف أحد من الخلق مع الله في شيء ما شرك وضلال ومنه اعتقاد في الغوث والديوان"،وفي الأصل الخامس عشر:"بناء القباب على القبور ،و وقد السرج عليها ،والذبح عندها لأجلها والاستغاثة بأهلها ، ضلال من أعمال الجاهلية، ومضاهاة لأعمال المشركين،فمن فعله جهلا يعلم،ومن أقره ممن ينتسب إلى العلم فهو ضال مضل"[2]،أما في الأصل السادس عشر:"الأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف ،ومبناها كلها على الغلو في الشيخ،والتميز لأتباع الشيخ،وخدمة دار

[1] محمود قاسم،الإمام عبد الحميد بن باديس (الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية)،دار المعارف بمصر،1968 ،ص25

[2] محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية(من 1830 حتى ثورة نوفمبر1954)،دار البعث للطباعة والنشر،قسنطينة،ط1 ،1985،ص113

الشيخ،وأولاد الشيخ إلى ما هناك من استغلال ...ومن تجميد للعقول ،وإماتة للهمم، وقتل للشعور ،وغير ذلك من الشرور".[1]

إذن أمام خطورة الوضع الاجتماعي و الثقافي والديني الذي آلت إليه الجزائر جراء سياسة الاستعمار الفرنسي الهادفة إلى القضاء على الدين والأخلاق وكل المقومات الحضارية للشعب الجزائري من جهة ودور الزوايا المتعاونة معه في تحقيق ذلك من جهة أخرى فقد عمدت جمعية العلماء إلى تغيير هذا الواقع من خلال تسخيرها لعدة وسائل بهدف نشر الوعي وبث دعوتها بين أفراد الشعب أبرزها الصحافة ، المساجد،المدارس،النوادي،الخطب ،المحاضرات،... معتمدة في ذلك ما ورد في الكتاب والسنة "ندعو إلى ما دعا إليه الإسلام و ما بيناه منه من الأحكام بالكتاب والسنة وهدي السلف الصالح من الأئمة مع الرحمة والإحسان دون عداوة أو عدوان".[2]

تعد الصحافة أهم سلاح اعتمدته الجمعية بالدرجة الأولى في إيصال أفكارها إذ أعلنت حربا إعلامية ضد خصومها الطرقيين خاصة ما تعلق بالبدع والأمور المستحدثة في الدين والتي أصبحت عقيدة راسخة في نفوس العامة زرعها شيوخ الزوايا والطرق من خلال الخرافات ،ونظرا لكون الإصلاح يبدأ من الأساس فقد بدأت الاستعمار خاصة تلك المتعلقة بالوعدات (الزرد) حيث وصفتها الجمعية بأعراس الشيطان وولائمه ومواسمه،والداعين إليها أعوانه وعملاء الاستعمار[3] . الجمعية بتطهير العقائد من الخرافات التي نشرتها الطرق المتعاونة مع الاستعمار

[1] نفس المرجع السابق،ص113

[2] محمد الطيب العلوي، نفس المرجع،ص113

[3] عبد الكريم بوالصفصاف،جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية (1931 -1945)،عالم المعرفة للنشر والتوزيع،الجزائر،ط1،2009 ،ص188

خاصة تلك المتعلقة بالوعدات (الزرد) حيث وصفتها الجمعية بأعراس الشيطان وولائمه ومواسمه،والداعين إليها أعوانه وعملاء الاستعمار[1] .

ومن أبرز صحف الجمعية :جريدة المنتقد(1925)التي حلت في نفس السنة بعد صدور ثمانية عشر عددا منها فقط ، جريدة الشهاب التي أسسها الشيخ ابن باديس في نفس السنة وظلت تصدر إلى غاية 1939، حيث جمعت مقالاتها بين الشؤون الداخلية والعالمية وكل أعمال الجمعية من محاضرات وفتاوى يكتب فيها خيرة علماء الجزائر، كما أصدرت الجمعية جرائد أخرى "الجحيم في الرد على الطرقيين" سنة 1932 ،"السنة النبوية 1933 "و"الصراط السوي" وغيرها من الصحف إلا أن الإدارة الإستعمارية سارعت إلى تعطيلها ، وفي سنة 1935 أسست الجمعية جريدة البصائر التي أصبحت لسانها الرسمي .

لم يقتصر العمل الإعلامي للجمعية على محاربة الطرقية وعقائدها بل الحفاظ على الشخصية الوطنية وربطها بمحيطها العربي الإسلامي وإبراز معالم التاريخ العريق للأمة وتربية النشأ على المبادئ الإسلامية والتحذير من مكائد الإستعمار وبرامجه التغريبية.

وبجانب الصحافة اعتمدت الجمعية على المسجد والمدرسة كمؤسسات تربوية تعمل على مكافحة الجهل والأمية وتصحيح الدين والعقيدة لأن التربية والتعليم أساس تكوين الهوية والشخصية الوطنية "وقد بلغت المدارس شأوا عظيما ،حتى

[1] عبد الكريم بوالصفصاف،جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية (1931 -1945)،عالم المعرفة للنشر والتوزيع،الجزائر،ط1،2009 ،ص188

أن المدارس التي أسستها الجمعية أصبحت مزاحما للمدارس الرسمية الفرنسية ومن أجل ذلك تعرضت وتعرض معلموها مون عليها إلى المضايقات والملاحقات...و لربما تعود هذه المضايقات في إقبال الشعب على بناء المدارس الحرة،والتفافه حولها كقلاع للعروبة والإسلام"[1].

لقد قامت الجمعية بدعم حركة التعليم العربي بإنشاء المدارس العربية عبر أنحاء الوطن لتعليم البنين والبنات ،أما المواد المدرسة: فهي التفسير،الحديث،الفقه،الفرائض،العقائد،الأدب،التاريخ،الحساب، ...

هذا عن المدرسة أما المسجد فقد ظل دائما قلعة من قلاع الدين واللغة والثقافة الإسلامية و منبرا للجهاد،فهو المدرسة التي تعلم اللغة والقرآن وعلوم الدين ومنبرا من منابر العلم ونواديا يقصده المتعلم والأمي لتعلم دينه وتبادل الآراء حول قضايا الأمة. وعلى هذا الأساس سعى الاستعمار إلى تجريده من مهامه الأصلية فكان لزاما على العلماء إعادة المسجد إلى دوره من خلال بناء مساجد حرة عبر التراب الوطني إعادة بعث العلوم الدينية والعربية وتوحيد الأمة ومواجهة أفكار الطرقية التي تغلغلت في عقول العامة من الشعب وتصحيح الأفكار التي ألمت بالأمة بدعم من المستعمر والطرقية.

وفي هذا الصدد قال ابن باديس في إحدى مقالاته الصادرة في جريدة الشهاب: "إذا كانت المساجد معمورة بدروس العلم فإن العامة التي تنتاب تلك المساجد تكون من العلم على حظ وافر وتتكون منها طبقة مثقفة الفكر صحيحة العقيدة ، وبصيرة

[1] محمد الطيب العلوي، نفس المرجع،ص115

بالدين فتكمن هي في نفوسها لا تهمل ـ وقد عرفت العلم وذاقت حلاوته ـ تعليم أبنائها ،وهكذا ينشر العلم في الأمة ويكثر طلابه من أبنائها..."[1].

لقد نجحت خطة الإصلاح التي رسمها عبد الحميد بن باديس ونفذها بصبر وأناة ، إذ استطاع أن يعزل المتحالفين ويظهر المتعاونين منها مع الاستعمار بمظهر الخيانة ففقدت سلطانها على الشعب ،فلم تعد ذات نفع للحكومة الفرنسية بالجزائر بل عبئا عليها." [2]

بذلت جمعية العلماء المسلمين كل جهودها في التصدي للطرقية وسياسة التجهيل الممارسة على الشعب طيلة عقود من الزمن ،وبفضل جهاد واجتهاد العلماء استطاعت الجمعية محاصرة الطرقية وأضاليلها "فخمدت نيران أهل الزردة، وزالت عن البلاد حمى الدراويش وتخلصت منها الجماهير بعد أن ظلت خمسة قرون ترقص على دقات البنادير ،وتبتلع العقارب والمسامير مع الخرافات والأوهام".[3]

"كما استطاعت أن تشل هذه الطرق ثم تهاجمها في عقر دارها،في مساجدها وزواياها ،وكان سلاحها العلم والحوار المقنع ،فانتزعت من أيديها المواطن المسكين المستسلم الذي كان شاردا في الغيبيات ،وفتحت له المدارس العربية

[1] عبد الكريم بوالصفصاف، نفس المرجع،ص135

[2] مالك بن نبي،شروط النهضة، دار الفكر،بيروت،لبنان ،ص83

[3] مالك بن نبي،نفس المرجع،ص28

الحرة ،فحمَّلته سلاح الفكر والنشاط وجعلته مواطنا صالحا في المجتمع يتطلع لإنقاذ تراثه الق ومي والديني ".[1]

بفضل جهود العلماء إستطاعت الجمعية القضاء على المخططات الاستعمارية الهادفة للقضاء على الهوية العربية الإسلامية وتشويه الدين الإسلامي من خلال دور الطرق الصوفية التي تحالفت مع المستعمر،وبذلك تراجع تأثيرها مع بداية العمل السياسي والثورة التحريرية.

[1] أحمد الخطيب،مرجع سابق،ص196

الفصل الثاني

وعدة سيدي امحمد الواسيني بمنطقة مغنية

I. ظاهرة الوعدة
1. المفهوم اللغوي والاصطلاحي
2. الوعدة والتراث الشعبي
3. دوافعها
   أ. الإجتماعية والثقافية
   ب. الإقتصادية
   ج. النفسية
   د. السياسية
4. وظيفتها في المجتمع

II. وعدة سيدي امحمد الواسيني بمغنية
1. التعريف بالمنطقة
   أ. جغرافيا
   ب. تاريخيا
2. التعريف بالولي الصالح
3. مكانة الوعدة في المنطقة

I. ظـاهرة الوعـدة:

1. مفهوم الوعدة:

ـ لغة: وَعَدَ: وَعَدَهُ الأمر و به عدَّةً ووعداً وموعِداً وموعدَةً وموعوداً وموعودةً، وهو من المصادر التي جاءت على مفعول ومفعولَةٍ كالمحلوفِ والمرجوعِ والمصدوقةِ والمكذوبةِ. والوعد من المصادر المجموعة ،قالوا:الوعود

وقوله تعالى: "ويقُولونَ متَى هَذا الوَعْدُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقين" ،أي انجاز هذا الوعد أَرونَا ذلك.وقوله:"وَعَدَ اللهُ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا". قال الجوهري: والعدة الوعْدُ والهاء عوض عن الواو ويجمع على عدات ولا يجمع الوَعْدُ ،قال أبو معاذ: واعدت زيداً إذا وَعدَكَ ووَعَدْتَهُ. والمَوْعِدُ: موضع التواعد، وهو الميعاد،ويكون المَوْعِدُ وقتا للعدة والمَوعِدَةُ أيضا: إسم للعدة والميعاد: لا يكون إلا وقتا أو مَوْضِعاً.[1]

وتشتق كلمة وَعْدَةٌ من فعل وَعَدَ أي تعَهَّدَ بالشيء، أي أخذ على عاتقه تطبيق شيء ما وهي بمعنى النّذر. أي ينذر الرجل نفسه صوم يوم أو ذبح شاة إذا تحقق له شيء ما، فإذا تم له ما أراد يكون لزاما عليه احترام ما تعهد به تحت عاقبة الكفارة[2].

والنذر: مصدر نذر الشيء يُنْذِرُهُ ومعناه أن يوجب المكلَّف على نفسه أمرا لم يلزمه به الشارع من صدقة أو عبادة ،وحكمه وجوب الوفاء به متى كان صحيحا

[1] ابن منظور،لسان العرب،ج6،ص ص:461-462

[2] نور الدين طوالبي:الدين ،الطقوس والتغيرات،تر:وجيه البعيني ،منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1988 ،ص123

مستكملا لشروطه[1] لقوله تعالى:"وليُوفُوا نُذُورَهُم "[2] وقوله تعالى: "يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ويَخَافُونَ يَوْمًا كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا "[3] ، كأن ينذر الشخص مالا إن قُضِيت حاجته أو شفي مريضه ونحو ذلك .

والنذر في اصطلاح الفقهاء التزام المسلم المكلف بِقُرْبَةٍ ، وقيل ما يوجبه المسلم على نفسه من صدقة أو عبادة أو نحوها.[4]

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه" ، ومن خلال النصوص فالنذر لا يكون إلا في طاعة الله والمقبول منه لا يكون معلقا بمصلحة دنيوية، فإذا كان النذر لمخلوق من ولي أو شيخ صالح فهو شرك بالله في هذه العبادة.[5]

إذن النذر على القبور و الأموات محرمة لأن صاحبها يعتقد في صاحب القبر ينفعه ويضره ويجلب له الخير ويدفع عنه الشر وهذا ما يتطابق مع ما كان يفعله عبدة الأصنام مع أوثانهم في الجاهلية وذلك شرك بالله يتنافى مع ما جاءت به العقيدة الإسلامية،وبذلك يعتبر هذا النذر نذر معصية .

أما في الثقافة الشعبية فالوعدة هي نذر موجه لأصحاب القبور من الصلحاء وهي "عبارة عن احتفال ديني يقوم به أشخاص من سلالة الولي و التابعين له حيث يأتون للزيارة بلوازم الإعداد لهذه الوعدة ونجدها في أوساط العامة تأخذ هالة

---

[1] عبد الرحمن الجزيري،الفقه على المذاهب الأربعة،مباحث النذر،ج2 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط1 ،1996،ص133

[2] سورة الحج (الآية 29)

[3] سورة الإنسان(الآية 7)

[4] محمد عبد القادرأبو فارس،الإيمان و النذور،دار الشهاب،باتنة ،1991 ،،ص132

[5] مبارك بن محمد الميلي،الشرك ومظاهره،ص250

روحانية تتمثل في شيء مقدس وفي ممارسات تنم عن اعتقادات أقل ما يقال عنها أنها تكفير عن الخطايا و التوسل إلى الله لرفع المظالم وتحقيق الأمنيات"[1].

وهي أيضا وليمة كبرى تقام عند ضريح الولي الصالح كقربان ،ولها مواسم معلومة من كل سنة،تجمع بين الديني والدنيوي من خلال الطقوس المرافقة لها كالفنون الشعبية والمظاهر الدينية ،و تنتشر في المدن والقرى وفي ذلك استمرارية لهذه الظاهرة التي يعتبر أصحابها عدم إقامتها قد تؤدي إلى تأخير نزول الغيث أو حلول غضب الأولياء واشتداد المحن.

ترتبط الوعدة بالاعتقادات الشعبية التي تغلغلت في أوساط المجتمع الجزائري خاصة تلك المرتبطة بالأولياء الصالحين والتي جعلت شريحة هامة تؤمن بكرامات الأولياء الصالحين فيقومون بزيارة الأضرحة والتبرك بها والنذر لها لنيل البركة وقضاء الحاجات ،وتذبح الذبائح عند قبورهم اعتقادا منهم بان ذلك سبب لقبولها وحلول البركة الأمر الذي جعل من مقامات الأولياء الصالحين تحظى بمكانة مرموقة لدى أفراد المجتمع من نساء ورجال ومثقفين ودونهم .

إلى جانب هذا الاعتقاد يسود الاعتقاد في قدرتهم على التوسط بين الله والإنسان في إيصال الدعوات والمناجاة وبقدرتهم على إنزال العقاب وفرض الخضوع والموالاة . والأولياء الصالحون أحياء في قبورهم فتجدهم يتوسلون صاحب القبر لقضاء حوائجهم ودفع المصائب عنهم، وتقبيل الجدران والتمسح بكل ما يحيط بالمكان .

[1] بوشمة معاشو،سيدي غانم تراث وثقافة،دار الغرب للنشروالتوزيع،وهران،2002،ص ص:13-15

إن الممارسة الشعبية جعلت الناس ينذرون لمن يعتقدون فيه من الأموات والمزارات والأحياء والثياب والحيوانات فيعتقدون أن نذورهم تقربهم من رضا المنذور،فان حصل ما يريدون ازدادوا تعلقا بمنذورهم واشتدت خشيتهم منه[1].
كما يرون بأن للأماكن التي تنجز فيها النذور خصوصيات قلما تتوفر في أماكن أخرى، فقد يتقربون بالذبائح ويقدمون الشموع والنقود ويعلقون خرقا على بعض الأشجار المجاورة له، كما أن الاعتقاد قد يصل إلى درجة التمييز والتفضيل بين القبور فهناك من يشفي المرضى وهناك من يحمي المال ويجلب الذرية وهناك من يفك رباط المرأة العاقر وغير ذلك من الأمور المستعصية [2].

فكم من امرأة قضيت حاجتها ونالت مرادها ،بعد أن زارت ضريح وليها أو تراءى لها في منامها ،وكم من مريض شفي من أسقامه بعد أن زار ضريح الولي الذي يختص بشفاء ذلك المرض، وكل تلك الأساطير التي نسجت حول الأولياء زادت من تجذر هذه المعتقدات والممارسات في المجتمع إلى درجة لا يمكن للأغلبية منهم الإنقاص من شأن الأولياء أو التشكيك في قدراتهم مخافة أن تلحقهم لعنة الأولياء أو "رجال البلاد" أي حراس البلاد [3].

ويشتد الاعتقاد في الولي في أوقات الكوارث الطبيعية كالجفاف وغيره من اجل إغاثة الناس لذلك تقدم الذبائح وتقام الولائم وتقدم الأطعمة إلى الوافدين إلى الوعدة،

[1] مبارك بن محمد الميلي،المرجع السابق،ص250

[2] فاطنة بولغيتي، المرجع السابق

[3] نفس المرجع

وان حدث المطر نُسِبَ إلى سر الولي الصالح وقوي اعتقادهم فيه وتعويلهم عليه، وإذا لم يتم ذلك أصيبوا بنكسة وقالوا أن وليهم غضب عليهم لتقصيرهم في جانبه[1].

إن ظاهرة الوعدة كمفهوم لم تحسم فيه الدراسات الانتروبولوجية إلى اليوم كما أن تحديد تاريخ ظهورها لم يحسم فيه إلى الآن حيث لا يستبعد أن تكون الظاهرة حديثة ارتبطت بسقوط غرناطة وبأهلها الموريسكيون[2] ونظرا لظروفهم الجديدة وتشتتهم راحوا ينظمون هذه المواعيد للالتقاء مع نهاية فصل الصيف وبداية الخريف ،حيث كانت تنصب الخيام وتذبح الذبائح تتخللها القراءات الشعرية والموسيقى و الرقص الذي اشتهر به المجتمع الأندلسي خاصة في مجال التوشيح و الزجل و غيرها من الفنون وعند انتهاء الاحتفال الذي يدوم لأيام تفترق الوفود ضاربة موعدا لنفسها للعام المقبل في نفس الموسم ونفس المكان و من هنا أخذ الاحتفال اسم الوعدة و ربما كانت في الأصل "الوعد" ثم تأنثت التسمية مع مرور الزمن تماما مثل ما تغيرت أمكنة و أزمنة حدوثها مع تغير أحوال المجتمع الجزائري[3]

وخلاصة القول فان طقس الوعدة هو مجموعة أفعال تترجم الاعتقاد في الأولياء الصالحين و الإيمان بقدراتهم على التأثير في الحياة اليومية للمعتقدين فيها من خلال الشعائر و الممارسات المرتبطة بها كتقديم الأضاحي والقرابين و التراتيل

[1] مبارك بن محمد الميلي ،المرجع نفسه،ص240

[2] الموريسكيون هم المسلمون الذين بقوا في الأندلس بعد سقوط غرناطة سنة1492 وأجبروا على التنصر و الدخول في الكاثوليكية وجردوا من حقوقهم وتعرضوا لمتابعة محاكم التفتيش،وكلمة موريسكيون هي تصغير لكلمة "مور"والتي يطلقها الإسبان على كل المسلمين ،و"موريسكو"هو المسلم الصغير إمعانا في الاهانة و التحقير،وظل هؤلاء متمسكين بدينهم طيلة115 عاما من القمع والتنكيل ، وظلوا ممنوعين من الخروج من اسبانيا إلى حدود1609 حين صدر قرار بطردهم .

[3] بوشمة معاشو ،المرجع السابق،ص ص:13 -15

والحضرة وغيرها من الطقوس التي أنشأتها الجماعة انطلاقا من معتقداتها وثقافتها وذلك ما ساهم في استمرارها إلى اليوم .

تعتبر الوعدة أيضا جزءا من الممارسة الشعبية الدينية التي تمثل بدورها جزء من نظام الدين في الثقافة الشعبية للمجتمع الجزائري و ذلك ما جعلها تتجذر في السلوك الاجتماعي و المخيال الشعبي للمجتمع ،فهي تؤدى لاشعوريا من طرف الفئات الشعبية رغم اللبس الذي يحيط بها .

2 ـ الوعدة والتراث الشعبي:

يعرف التراث بالفولكلور أو المأثورات الشعبية ،ورغم تعدد تسمياته واختلافها بين الباحثين والمختصين في تحديد المصطلح إلا أن التراث هو كل ما أنتجته الأجيال السابقة على مدى العصور،ومن الناحية العلمية هو علم ثقافي قائم بذاته يختص بقطاع معين من الثقافة (الثقافة الشعبية) ويلقى عليه الضوء من زوايا تاريخية وجغرافية واجتماعية ونفسية.

إن تحديد مفهوم التراث أو الفولكلور لم تحسم فيه الدراسات بسبب الاختلاف حول عناصره وماهيته ،وأبرز التعاريف التي أعطيت من طرف الباحثين والمختصين ذلك الذي حددته منظمة اليونيسكو سنة2003 :"يقصد بعبارة التراث الثقافي غير المادي الممارسات والتصورات والمعارف والمهارات وما يرتبط بها من آلات وقطع و مصنوعات وأماكن ثقافية التي تعتبرها الجماعات و المجموعات وأحيانا الأفراد جزءا من تراثها الثقافيو هذا التراث الثقافي غير المادي المتوارث جيلا

بعد جيل،تبدعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها وهو ينمي لديها الإحساس بهويتها والشعور باستمراريتها،و يعزز من ثم احترام التنوع الثقافي والقدرة الإبداعية البشرية .." [1]

أما التعريف الثاني ففيه حدده الدكتور محمود الجوهري أقسام التراث والذي حددها في أربع مجالات هي : ـ المعتقدات والمعارف الشعبية

ـ العادات والتقاليد الشعبية

ـ الأدب الشعبي وفنون المحاكاة

ـ الفنون الشعبية والثقافة المادية[2]

فالمعتقدات ما يعتقده الشعب معين من طقوس دينية أو عوامل طبيعية (فوق الطبيعة:الجن،الأولياء،السحر،الأحلام،الطب الشعبي،الروح،...) ،أما المعارف فهي ما أتقنه الشعب من حرف وصناعات تقليدية ميزتهم عن غيرهم،أما العادات والتقاليد فهي كل ما يتعلق بالاحتفالات والمناسبات والأسلوب السائد في المجتمع، وهي عموما كل أشكال التعبير البسيطة والطقوس المرافقة للاحتفالات الدينية والاجتماعية (عادات الزواج،الختان،طرق استقبال الضيوف،...)، وتتميز العادات والتقاليد عموما على أنها فعل اجتماعي مرتبط بالجماعة،متوارثة ومرتكزة إلى تراث يدعمها،تمثل القانون الذي تمتثل له الجماعة، متنوعة وشاملة لحياة الإنسان.

[1] الإتفاقية الدولية لحماية التراث الثقافي اللامادي،اليونيسكو،باريس 17 أكتوبر،2003،ص2
[2] محمد الجوهري،الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية،ج1 ،دار الكتاب للتوزيع،ط1 ،1978 ،ص10

بالنسبة للأدب الشعبي فهو أبرز موضوعات التراث وأكثرها عراقة ويعرف بعدة مسميات منها الأدب الشفاهي ،الفن اللفظي،الأدب التعبيري وهو ما يخص الشعر والنثر بما يحويه من قصص وأساطير وأمثال وألغاز،...والفنون الشعبية (ألعاب المبارزة،الرقص،الموسيقى ألعاب الأطفال،ألعاب الترفيه، الفروسية....)، وأخيرا الثقافة المادية ويقصد بها الآثار والأدوات الشعبية والأشغال
اليدوية(النسيج،النحت،الخشب،الخزف،الأزياء بأنماطها المتنوعة،الحلي وأدوات الزينة،الأثاث والأواني ،العمران الشعبي.

رغم الاختلافات الحاصلة بين الباحثين والمفكرين حول تحديد المفاهيم المتعلقة بالتراث أو الفولكلور إلا انه يمكن القول بأنه عصارة فكر ساهمت فيها الأجيال السابقة، كما خضعت للتأثير والتأثر بالحضارات المجاورة أو الوافدة .وعلى هذا الأساس فالتراث ما تعلق منه بالمعتقدات أو الفنون أو العادات والتقاليد قد خضع لتأثير ثقافات وافدة وصنع من التمازج ثقافة خاصة بالمجتمع الجزائري وبذلك تتميز الثقافة الجزائرية بجمعها بين الثقافة العربية والأمازيغية والإسلامية وحتى ثقافات متوسطية(ثقافة الغزاة)،إلا أن أكثرها تأثيرا هي الحضارة الإسلامية بمعتقداتها وأخلاقها وقيمها .

أما مصطلح الثقافة فهو أيضا أكثر تعقيدا من التراث والفولكلور،فالثقافة في المعاجم العربية مأخوذة من فعل ثَقِف الشيء وتعني الحذق والفطنة، والثقافة هي العلوم والمعارف والفنون التي تتطلب الحذق فيها ،وعليه يمكن القول "أن الثقافة الشعبية هي مجمل نشاطات المجتمع من ممارسات وأفكار أنتجها إشباعا لحاجاته وهي تعمل على نقل هذه النشاطات وما ينشأ عنها من أصناف الإنتاج من جيل إلى

جيل باعتماد الذاكرة والكلام المعبر عن موجوداتها بالطرق التقليدية ،حرفة وكتابة ونغمة وصوتا وزيا وحركة.وهي في الأخير نمط حياة متحرك ونظام من الرموز وأشكال التفاعل تشارك فيها الثقافة العامة باعتبارها عنصرا أساسيا فيها.[1]

إذن فالثقافة هي نتاج بشري قابل للتغيير بفعل تغير الظروف وبما تضفيه الأجيال الجديدة من خبرات وأدوات وقيم وعادات وأنماط سلوك أو ما تحذفه وتلغيه بما لا يتلاءم مع ظروفها،والثقافة نوعان مادي ولا مادي ،فالمادي كل ما أنتجه الإنسان من أدوات ووسائل انطلاقا من بيئته وظروف حياته ـ كما أسلفنا ـ من أجل إشباع حاجاته،أما اللامادية فهي مجمل التعابير والسلوك والمعتقدات واللغة التي تناقلتها الأجيال،وشكلت في النهاية منظومة القيم والمعتقدات والعادات والقانون والنظم الاجتماعية التي صنعت خصوصية وهوية المجتمع.[2]

انطلاقا من هذه التعاريف يتميز المجتمع الجزائري بثقافة شعبية غزيرة و متنوعة على امتداد ربوع الجزائر و تنوع بيئاتها وتركيبتها البشرية و ما مرت به من تطورات تاريخية ساهمت في مجملها في رسم تلك الثقافة التي تنم عن عراقته و أصالته من معتقدات خرافية وأدب شعبي وحرف وفنون وغيرها والتي ترسخت في فكره ومارسها من خلال عاداته وتقاليده . ومن أبرز العادات والتقاليد المنتشرة عبر ربوع الوطن ظاهرة الوعدة التي تشكل جانبا مهما من المعتقدات والممارسات الشعبية في المجتمع الجزائري إلى يومنا هذا.

[1] عاطف عطية،الثقافة الشعبية بين المادي واللامادي،مجلة الثقافة الشعبية،البحرين،العدد 31،2016

[2] نفس المرجع

من خلال المفهوم اللغوي والاصطلاحي للوعدة فهي واحدة من العادات والتقاليد التي دأب عليها الشعب الجزائري خلال قرون مضت ،وهي في نفس الوقت جزء من الممارسة الشعبية الدينية باعتبارها من نظام الدين في ثقافة الشعب الجزائري، وهي طقس من الطقوس المرتبطة بالاعتقاد في الأولياء الصالحين والنذر لهم لنيل البركة وتحقيق الأمنيات من خلال عملية الذبح أو القربان.

تعتبر ظاهرة الذبح في المجتمع الجزائري أيضا واحدة من السمات المميزة لطقوس حياته وعادة ألفها أفراد المجتمع سواء ما تعلق بطقوس الدين الرسمي كالختان والزواج والأعياد والعقيقة أو الصدقات على الفقراء والمساكين وغيرها، أو الذبح لتفادي غضب القوى الغيبية والتي تتخذ في مجملها صفة الوثنية في معظمها ،ومن الأحداث المعاشة في مجتمعنا والمرتبطة بالذبح:

الذبح على العتبة عند دخول بيت جديد أو عند شرائه لتفادي غضب ساكنيه من الجن واسترضائها أواستئذانها بالدخول ،أو لدفع العين ولجعله مباركا وتجنب أي مكروه قد يحل بأهل البيت . الذبح عند بعض القبور أو الأضرحة للمريض المصاب بالمس حيث يذبح ديك أسود أو أحمر أو تيس لاسترضاء الجن كي يرفعوا أذاهم عن المريض ،وفي هذه الذبيحة لا يذكر اسم الله عليها* ،وبعد أن يبيت المريض ليلته داخل الضريح تقام الوليمة بلحم الذبيحة في اليوم الموالي وتوزع على الحضور .

* تسمى بالتعبير المحلي النشرة أي ما يتخذ من تمائم تمحى ويدهن بها جسد المريض او يشربها،وعادة ما ترتبط بالذبح عند القبورلاتقاء شر الجن (ينظر أحمد بن أحمد،مرجع سابق ،ص 54)

لا تزال هذه العادات مستمرة رغم كونها تحمل في ثناياها بقايا الوثنية ،ورغم أن الأغلبية متمسكة بدينها إلا أنها تمارسها بل وتعتقد فيها .وإلى جانب هذه العادات هناك أخرى أكثر تأصلا وانتشارا في المجتمع الجزائري بل وحضورا في التراث الشعبي بكل عناصرها وطقوسها وهي الوعدة التي ارتبطت سابقا بطلب المطر لسقي المحاصيل الزراعية (الاستسقاء) ومن هذه الوعدات تلك التي كانت النسوة تقمنها من خلال صنع هيكل"غنجة" (لالة حليمة في بعض المناطق)، وهي عبارة عن عود تربط إليه ملعقة كبيرة وتثبت قطعة خشب أخرى لتشكل الكتف واليدين ويكون رأسها رأس الملعقة ويغطى وجهها ، ثم تلبس بثياب النساء ،فترفع الفتيات هذا الهيكل ويطوف الصبية والصبايا من بيت لآخر مرددين مقاطع غنائية يقولون فيها : غَنْجَة غَنْجَة حَلَّتْ رَاسْهَا

يَارَبِّي حَلّْ اخْرَاصْها

والسُّبُولة عَطْشانة غِيثْها يامُولانا

والنَّعْجة عَطْشَانة غِيثْها يا مُولاَنا

والبَقْرة عَطْشَانة غِيثْها يا مُولانا[1]

ومن خلال هذه المقاطع يلاحظ الإشارة الى طلب الغيث بالاستعانة بالهيكل المصنوع،دون التوجه الى الله مباشرة، وهكذا يتم ترديد أسماء الحيوانات الأليفة مع الانتقال من بيت لآخر ،وعند كل بيت يقف الموكب فتستقبله ربات البيوت برش بعض الماء على الصبية وتعطي ما جادت به من حبوب أو بقول جافة أو دقيق أو شيء آخر.وفي نهاية التجمع تُجمع التبرعات في ساحة كبرى وتطبخ النساء تلك العطايا وتوزع على الحضور كنوع من الصدقات أو القربان طلبا للمطر. إلى جانب هذه العملية قد تذبح ذبيحة من ماعز ويطهى الكسكسي ويوزع

[1] رواية السيدة يمينة (81 سنة)

بين النسوة والأطفال في انتظار حصول البركة وسقوط المطر،وقد تعاد العملية إذا لم تسقط الأمطار .

إن المتتبع لهذه المعتقدات الشعبية يلاحظ أنها بدأت تتلاشى في يومنا هذا بسبب انتشار الوعي الديني والتعليم ووسائل الترفيه المختلفة ،كما تعتبر شكلا من أشكال الوثنية والشرك بالله لأن الذبح لغير الله محرم بالنص القرآني ولأن النذر في الأولى بأسماء الأولياء فيذبحون الذبائح عند قبورهم اعتقادا منهم أن ذلك سبب لقبولها وحلول البركة الأمر الذي جعل من مقامات وأضرحة الأولياء الصالحين تتمتع بمكانة مرموقة في ثقافة المجتمع الجزائري.

رغم تحريم الذبح لغير الله إلا أن الوعدة تظل مستمرة ضمن عادات الشعب الجزائري والتي تخص كل منطقة من مناطق البلاد،بل قد نجد في المنطقة الواحدة العديد من الوعدات منها المعروفة وغير المعروفة ،حيث يتم التحضير لها والدعوة إليها من كل المناطق المجاورة ،كما أصبحت هذه التظاهرات الشعبية تلقى الدعم من طرف السلطات المحلية من خلال توفير كل الظروف الملائمة لضمان سيرها الحسن حيث يفد إليها الآلاف من كل حدب وصوب لقضاء يوم أو بضعة أيام للترويح عن النفس في جو من المدائح والأغاني الشعبية والموسيقى والرقص والفنون الاستعراضية كالفروسية وأنواع الأطعمة الشعبية .
لقد أصبحت الوعدات تنظم دوريا في القرى والأرياف وحتى في البيوت وتوزع على الأهل والجيران أو في المسجد المجاور وبذلك أصبح مصطلح الوعدة ملازما لكل أنواع الصدقات التي تقدم شكرا لله على تحقق الأمنيات كالنجاح والختان أو شراء سيارة أو شفاء مريض وغير ذلك ،وليس بالضرورة أن تكون

الوعدة لغير الله .وهنا تختلف نظرة كل واحد تجاه هذا النذر فمنهم من يوجهه لله وهو يعتقد ذلك جازما ومنهم الأقلية التي توجهه لاتقاء شرور القوى الغيبية وبالتالي لغير الله.

ومن خلال تتبع معظم الوعدات المنتشرة بأنحاء البلاد والمرتبطة بالأولياء الصالحين نلاحظ أنها تتميز بنفس الخصائص اللهم إلا بعض الخصوصيات المحلية المرتبطة بالبيئة وذلك ما يعطيها إمكانية البقاء و الديمومة ،ويمكن إجمال ذلك في بعض النقاط منها :

ـ معظمها تقام في فصل الخريف أو الربيع طلبا للمطر وري المحاصيل الزراعية مما يجعلها نذر من نذور الاستسقاء الشعبية.

ـ تقام عند أضرحة الأولياء الصالحين باعتبارها أمكنة مقدسة وطاهرة ،وللاعتقاد في قدرة أصحابها على إيصال الدعوات ،وقد يكون صاحب الضريح (كما هو موضوع بحثنا)الجد الأول للقبيلة مما يجعلها عقد بين القبيلة وجدها الأكبر.

ـ وحدة التنظيم حيث تبدأ بتجمع أفراد القبيلة المكلفة بالوعدة أو أفراد الزاوية والتابعين للطريقة الصوفية بالإعداد المسبق للظاهرة من خلال دعوة المهتمين من أجل حسن سيرها .

ـ تجمع هذه التظاهرات بين الجوانب الدينية والفنون الشعبية ولو أن المظاهر الفولكلورية (الفروسية ،الألعاب الشعبية،الرقص الشعبي،...)أكثر حضورا من الدينية (الحضرة ،الذكر...) مما يجعلها أكثر استقطابا للزوار.

ـ تقوم على مبدأ الإطعام (الطَّعم) أي إكرام الضيوف من خلال إخراج الصدقات المتمثلة في الأكلات الشعبية المحلية الخاصة بالمنطقة كالكسكسي دون تفضيل بين

المدعوين وذلك ما يجعلها مناسبة مفتوحة أمام الجميع من أجل حصول القبول وحلول البركة .

ـ في آخر يوم تختتم معظم الوعدات بالفاتحة أو الدعاء لأصحاب الوعدة أو القائمين عليها ولسائر المسلمين ، وتمثل أهم مرحلة من مراحل المناسبة للمشاركة في الدعاء ونيل بركة الجماعة والدعاء.

خلاصة القول تعد الوعدة كظاهرة ثقافية واجتماعية ودينية ظلت مرتبطة بعادات وتقاليد المجتمع الجزائري على مدى العصور ارتبطت ارتباطا وثيقا بالمعتقدات الشعبية الوثنية القديمة ثم معتقدات الطرق الصوفية التي ميزت المغرب الإسلامي والجزائر خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر.

وهي أيضا موعد مع التراث الشعبي بكل عناصره و فضاء مفتوح أمام الجميع لتحقيق الفرجة والسياحة التاريخية ، ومكان الوعدة عبارة عن مسرح شعبي مفتوح على الطبيعة وأمام الجميع فيه تعرض مختلف الفرق المحلية والجهوية للفنون الشعبية كالموسيقى الشعبية والرقص الشعبي والأزياء التقليدية المحلية والألعاب الاستعراضية كالفروسية والألعاب الترفيهية التقليدية بكل ما تمثله من رموز الهوية والانتماء الخاصة ،وهي أيضا مناسبة لعرض خصال المجتمع الجزائري المتمثلة في الكرم وحسن الضيافة و إطعام الطعام وحسن الجوار والتعاون التي تأصلت في خصال أفراد المجتمع وأخلاقياته.

إذن استطاعت الوعدة باعتبارها رافدا من روافد الثقافة الشعبية الجزائرية (بإيجابياتها وسلبياتها) أن تجمع بين ثناياها العديد من عناصر التراث وتحفظه من

المسخ والتشويه طيلة عهود الاستعمار، وأن تنقل للأجيال الحالية بعضا من صور حياة الأجداد وعناصر الثقافة الشعبية التي كادت تمحي بفعل التطور التكنولوجي وتطور أساليب الحياة العصرية المادية التي كادت تختفي معها عناصر التراث الثقافي كالفولكلور الشعبي والأزياء التقليدية والمناسبات الجماعية ومفهوم القبيلة وغيرها من القيم المستمدة من الثقافة الشعبية.

3- دوافـعهـا:

تتعدد دوافع الاشتراك في الوعدة تبعا لرغبات الوافدين إليها. فقد يجد فيها البعض فرصة للترويح عن النفس والتخفيف من الأزمات والمشاكل التي يعيشونها في ظل الاعتقاد في قدرات الولي الصالح وإجابته الدعاء والترفيه عن النفس ، وقد تتعدى إلى الدوافع الاجتماعية والثقافية والدينية والاقتصادية وحتى السياسية تبعا لرغبات أصحابها والمهتمين بها.

قد تتقاطع هذه الدوافع اليوم إلا أن الإنسان أصبح من خلال المشاركة فيها يعبر عن استمرار عاداته وتقاليده وارتباطه بمحيطه و خصوصيته و هويته رغم أن هناك عوامل تعمل على التقليل من فعاليتها وتأثيرها على المجتمع في ظل التطور العلمي والتكنولوجي الذي قضى على الدور التربوي والترفيهي لمثل هذه التظاهرات الشعبية و تشتت القبيلة ،وتتمثل دوافع الاشتراك فيها:

أ – الدوافع الاجتماعية والثقافية:

ظاهرة الوعدة تجمع بين جانبين :الأول كونها سلوك وتعبير عقائدي يترجم عن بعض الحاجات الفردية والاجتماعية ، والثاني أنها ظاهرة حضارية ذات أصول وجذور منها امتدت فروعها وتشعبت وتشابكت لتصبح راسخة في اللاشعور الفردي وجزءا من نسق الدين وعنصرا من عناصر الثقافة في المجتمع الجزائري[1]

لقد تعود الناس على إقامة الاحتفالات الخاصة بشيخ الطريقة عند زاويته أو ضريح الولي الصالح كل سنة فتقام الولائم وتذبح الذبائح وبذلك يصبح هذا الاحتفال نوعا من الممارسات الاجتماعية التي أفرزت طقوسا ورموزا وأساطير بقيت راسخة في أفكار ومشاعر الجماعة. [2]كما تعتبر ظاهرة الوعدة رابطا يعمل على إعادة تماسك و ترابط القبيلة والجماعات من خلال إعادة تنظيمها سنويا.

هذا و تعتبر الوعدة جزءا من الممارسة الشعبية الدينية وهي تمثل بذلك جزءا من نظام الدين في ثقافة المجتمع الجزائري، التي تجذرت في سلوكه وتفكيره، وأصبحت تتم بشكل تلقائي دون تفكير في دوافعه ومغزاه . فالوعدة تأخذ قيمة دينية في منطقة ما لأن الناس يقومون بها إكراما للولي ، والاحتفال السنوي الذي يقام على شرف الولي أو شيخ الزاوية أو صاحب الضريح كثيرا ما يشكل ظاهرة

[1] عبد الله محمد عبد الرحمن،سيد رشاد غنيم،مدخل علم الاجتماع ،دار المعرفة الجامعية للطبع و النشر والتوزيع،الإسكندرية ،2008 ،ص270

[2] أحمد بن أحمد،مرجع سابق،ص98

مقدسة بالنسبة للقبيلة والتي لا يجب تركها بل إقامتها في الوقت المحدد مما يؤدي إلى ترسيخها في أفكار البسطاء كواجب مقدس [1]

إلى جانب ذلك يظهر التكافل الاجتماعي من الناس من خلال الإحسان إلى الفقراء والمساكين والتضامن بين الفقراء والمساكين والأغنياء وتوزيع الزكاة وتخصيص مبالغ لفائدة الطلبة (معلمي القرآن) كما يتم إصلاح ذات البين بين المتخاصمين (الجرائم ،النزاعات العقارية) وفيها تستخدم عبارة "جاه سيدي فلان" أو "جاه ربي" والتي تسهم في إطفاء نار الفتنة بين الأفراد والأسر وتساهم أيضا في لم شتات أفراد القبيلة وربط أواصر القرابة مع أفراد العشائر التي ينتمي إليها. وتشكل المظاهر الاحتفالية المرافقة لها من الفنون الشعبية كالرقص الشعبي وألعاب الفروسية و والموسيقى الشعبية (أهمية الفنون ش).

كل هذه الدوافع تجعل الأفراد يشاركون في إحيائها بأموالهم وجهودهم لا سيما أن كانوا يحسون بانتمائهم إلى سلالة الولي الصالح الذي تقام على شرفه الاحتفالات .

ب ـ الدوافع النفسية:

تتمثل هذه الدوافع في كون الإنسان البسيط اعتقد في الوسيط الذي يمكنه من بلوغ هدفه ذلك أن الله في نظره يبقى بعيدا. [2] وهذه الفجوة التي ظلت تفصلهم عن إلههم

[1] زويش آسيا وآخرون ،التراث الثقافي غير المادي لمنطقة الطارف،جمع ودراسة ،مذكرة ليسانس،المركز الجامعي بالطارف،معهد اللغة العربية وآدابها،قسم الأدب العربي،2007 - 2008 ،ص6

[2] أحمد أمين،زعماء الإصلاح في العصر الحديث،بيروت،دار الكتاب العربي،ص6

استغلها رجال الدين لابقاء سلطانهم ومنع العامة من الانصراف عن الدين، ومن هنا نشأت الحاجة النفسية لإيجاد الشفيع أو الوسيط يساعدها على حل مشاكلها.

ويتجلى البعد النفسي لهذا الطقس في كونه يهدئ حالات القلق ويحقق الارتياح النفسي ويحقق نوعا من التوازن الداخلي [1]عند إتمام الاحتفالات قرب الولي الصالح ،وتشكل حلا لمشاكله الحياتية، فبعض المشاكل اليومية المستعصية تؤدي إلى الشعور بالعجز ، لذلك تلجأ الطبقات الشعبية إلى الأولياء لتحقيق طلباتها والتخفيف من آلامها وذلك ما يتجلى في طقوس الزيارة وتقديم النذور من تحقيق للأمنيات والرغبات.

إلى جانب أهمية الجانب الديني في التنفيس عن الذات تتجلى مكانة الفنون الشعبية في الوعدة والتي لا تخلو منها أي واحدة من الوعدات التي تقام هنا وهناك،فحلقات الرقص الشعبي والموسيقى الشعبية ومنافسات الفروسية وغيرها تشكل متنفسا ثقافيا و فرجويا يربط الجماعة بتاريخها وبطولاتها وبذلك تكون الوعدة موسما سياحيا و ثقافيا، ومسرحا مفتوحا أمام الجميع .

جـ - الدوافع الاقتصادية:

كثيرا ما كانت تقام الوعدة في فصل الخريف طلبا للغيث والاستسقاء الذي تحتاجه الأرض لإنبات محاصيلها خاصة وان مناخ الجزائر يتميز بعدم انتظام التساقط وكثيرا ما كانت تتعرض مناطقها المختلفة إلى الجفاف ، وبحكم أن مجتمعها ظل

[1] أبو القاسم سعد الله،مرجع سابق،ص465

مجتمعا زراعيا فقد شكلت الوعدة وسيلة لاستدرار الأمطار إما مع بداية الموسم الفلاحي أو في منتصف الموسم مع بداية فصل الربيع خوفا من الجفاف ،ويتم الدعاء والتوسل عند انتهاء طقوس الوعدة مع رفع الفَاتِحَة أي الدعاء والتوسل إلى الله بجاه الولي الصالح في ظل غياب الوعي الديني.

إلى جانب هذا الدافع ،تصاحب هذه التظاهرة عروض مختلفة تستقطب الزوار حيث تعرض المنتجات الفلاحية والصناعات التقليدية وكل ما يحتاج إليه أصحاب الوعدة ، وبذلك أصبحت المناسبة سوقا مفتوحة أمام الجميع مما يدفع الكثيرين إلى المشاركة فيها وتحقيق بعض المنافع المادية من خلال توفير كل ما يحتاج إليه المكلفون بالوعدة أو الوافدون .

د- الدوافع السياسية:

كما سبق ذكره فقد لجأت السلطات الحاكمة أثناء الحكم العثماني ثم الاستعماري وحتى اليوم إلى تدعيم نفوذها واستقرار المجتمع من خلال توظيف الدين لبلوغ هذه الأهداف وذلك لصرف نظر الشعب عن المشاكل الحقيقية وتوجيهه إلى الاهتمام بالأولياء الصالحين ، وهذا ما يجعل السلطة تركز على التدين الشعبي وتدعم مؤسساته الشعبية كالزوايا و تعمل على تشجيع الوعدات وإقامة المواليد،

وبالمقابل تعمل على منع كل فكر علمي يدعو إلى تغيير الواقع الحقيقية ،وبذلك يوظف الدين في تثبيت شرعيتها ووجودها[1].

ويتجلى موقف السلطة الداعم لهذه الطقوس في السهر على الإشراف عليها وتنظيمها وتوفير كل ما تحتاج إليه وتسخير كل الإمكانيات لإنجاحها واستمرارها، وهذا الحال كان ولا يزال قائما إلى يومنا هذا حيث أن هدف السلطة هو الهاء الشعب بالمهرجانات والأولياء وإبقائه في نطاقه القبلي الضيق الذي لا يتطلع إلى الأفضل والاهتمام بمعاناة الشعب والتفكير في تغيير الظروف الكفيلة بتحسين أوضاعه نحو الأفضل . والملاحظ أيضا على هذه التظاهرات حضور شخصيات المجتمع المدني و والسلطات المحلية وذلك ما يبرز الدافع السياسي لإقامتها .

4 - وظيفتها :

لظاهرة "الوعدة"في المجتمع الجزائري وظائفها ودلالاتها الاجتماعية و الدينية، فهي عادة ارتبطت بالتراث الشعبي وهي ظاهرة عرفها المجتمع المغاربي عامة والجزائري خاصة حيث انتشرت في الأرياف و المدن رغم ما يشوب طقوسها من ابتعاد عن حقيقة الدين الإسلامي و ذلك ما يدفع إلى البحث في وظيفتها ودورها في المجتمع لمعرفة الحقيقة الكامنة وراء استمرارها إلى اليوم رغم انتشار العلوم و المعرفة التي عارضت مثل تلك المعتقدات الخاطئة، وذلك ما يبرز في أدوارها المختلفة:

[1] أحمد بن أحمد،مرجع سابق،ص 102

ـ فاجتماعيا وثقافيا: شكلت الوعدة ـ رغم انحرافها في الجانب العقائدي ـ سدا منيعا أمام الاستعمار الذي أراد القضاء على الدين والتشكيك في رموزه وهويته،كما ساهم في تماسك القبيلة وارتباطها بوليها والتصدي لمحاولات تفكيك البنية الاجتماعية ـ للمجتمع الجزائري ـ والحفاظ على وحدته وثقافته وتراثه أمام محاولات الاستلاب الاستعماري بل وحماية هويته من محاولات المسخ والتدنيس ،إذ حافظت على عناصر الثقافة وقيم تراث الأجيال السابقة لتشكل هوية مختلفة كل الاختلاف عن هوية الثقافة الغربية التي أريد لها أن تكون في الجزائر.

فارتباط القبيلة بوليها ساهم في الحفاظ على تماسك القبيلة و إبقاء عامل التلاحم والتعاون والتكافل باقية في المجتمع الجزائري والحفاظ على شيم الكرم والصدقة إلى يومنا هذا،وما إعادة هذه الظاهرة سنويا إلا تعبير قوي عن محاولة الحفاظ على تماسك المجتمع ،"إن استمرارية الظاهرة اليوم يطرح كضرورة لفرض هذا العرش لرقابته على مجاله الترابي ومميزاته الثقافية الخاصة به وبالمختصر المفيد فان الظاهرة اليوم هي دافع طقوسي لفعل التواصل والاستمرار لهذا العرش ككيان وكفاعل اجتماعي موجود لم ينتهي ،يعبر عن نفسه من خلال هذه المظاهر الاحتفالية الشعبية التي تذكره بخوفه من ضياع قيمه بين المتناقضات "[1]

هذا وساهمت الاحتفالات المصاحبة للوعدة في الحفاظ على الفنون الشعبية المختلفة و الحفاظ على الخصوصيات الثقافية و الفنية في مجتمعنا كالفروسية والرقص الشعبي و الموسيقى و اللباس وغيرها ،والتي تعود بالذاكرة الجماعية

[1] محمد رجب النجار ،القيم والعادات والتقاليد العربية،دراسات في المجتمع العربي،عمان،اتحاد الجامعة العربية ،ط1،1985 ،ص316 .

إلى الأصول العريقة لمجتمعنا و ثقافته و حمايتها من الاندثار في ظل التحولات التي تشهدها الساحة الدولية في ظل العولمة.

ـ دينيا: شكل الدين جزءا هاما من الثقافة الشعبية غير أن المعتقدات الدينية المرتبطة بهذه الظاهرة والمتمثلة في تقديس الأولياء الصالحين طغت على التفكير والفهم الصحيح للدين ،مما جعلها تحيد عن الطريق ،بل يشبِّهها العلماء في الجزائر بمعتقدات الجاهلية و الوثنية :"إن نظر الناس إلى الزردة *أنها من الشرك ،فيجب على العلماء تحذير الأمة منها و النصح باجتنابها ، ويجب على الأمة الابتعاد و والمبادرة إلى الإقلاع،و دليل ذلك تشابهها في المعنى بعتائرالجاهلية و قرابينها و اجتماعاتها على انضباطها و أصنامها[1]"

إن بقايا الوثنية لا تزال ماثلة في طقوس التبرك بالأولياء و النذر لهم غير أنها بدأت تتلاشى في ظل التطور العلمي و انتشار التعليم .إن هذه الظاهرة الدينية بايجابياتها وسلبياتها ساهمت في الحفاظ على رموزه الدينية(الأولياء) من خلال إحياء خصالهم و إعادة إحياء تدينهم من خلال تجمعات الحضرة و الذكر وقراءة القرآن و إطعام الفقراء وابن السبيل والتعاون و الكرم وطبعها في خصال الأفراد و المجتمع الجزائري.

كما ساهمت الطرق الصوفية المرتبطة بها في تربية الأفراد في سلوكهم وثقافتهم وأخلاقهم إذ كانت بديلا عن المدرسة التي غيبت خلال فترات الاستعمار الفرنسي.

---

* الزردة عبارة بربرية تستعمل في شرق الجزائر و جنوبها للدلالة على نوع الفعل في الاحتفاليات الشعبية كالولادة،النجاح،العودة من الحج ،الختان،الشفاء...وفي العرف العام تعني نفس مدلول الوعدة أي ما يتخذ من بهيمة الأنعام عند أضرحة الأولياء والصُلَّاح.

[1] مبارك بن محمد الميلي، رسالة الشرك ومظاهره ،ص101 .

ـ نفسيا: ساهمت الوعدة بطقوسها المختلفة في تحقيق الارتياح النفسي من خلال إتمام القبيلة للوعد الذي تقدمه لوليها دوريا و النابع من اعتقادها في تحقق الأماني و حصول البركة وطلب الغيث ،كما أن كل زائر للضريح يجد الطمأنينة والسكينة أثناء الزيارة و رجاء الشفاء وتحقيق الأماني المستعصية عليه. ومن جهة أخرى تسهم المظاهر الفلكلورية المصاحبة للوعدة في الترويح و الترفيه عن الذات المثقلة بهمومها ومشاكلها اليومية الاقتصادية والنفسية من خلال مظاهر التسلية والترفيه التي تبعثها تلك المشاهد الفنية في النفس من اعتزاز بالماضي التليد والانتماء،وغرس نظرة التفاؤل وربط الماضي بالحاضر.

ـ اقتصاديا: إلى جانب وظائفها الدينية والاجتماعية والثقافية تؤدي الوعدة وظيفتها الاقتصادية من خلال ارتباطها بموسم الزرع و طلب الغيث لأنه في اعتقادهم عدم إقامتها قد تؤدي إلى تأخير نزول الغيث أو زوال البركة ،كما تشكل سوقا مفتوحة أمام الوافدين تعرض فيها مختلف السلع و المنتجات الفلاحية و مستلزمات الوعدة، إضافة إلى عرض مختلف أنواع الألبسة التقليدية المحلية الخاصة بالرجال و النساء، الحلويات،التحف الفنية وغيرها، وبذلك يجد الباعة المتجولون و أصحاب الحرف فرصة لطلب الرزق من خلال عرض سلعهم في هذه المناسبة.

بصفة عامة الوعدة ظاهرة متعددة الوظائف والأدوار في حياة المجتمعات والمجتمع الجزائري خاصة، إذ تظل الوعدة من أبرز العادات والتقاليد التي تشكل مظهرا من مظاهر التراث الشعبي الجزائري المستمرة إلى يومنا هذا، حافظت على الشخصية الوطنية وعلى تماسك القبائل أثناء الاستعمار الفرنسي، إضافة إلى الحفاظ على ثقافة الشعب وقيم تراث الأجيال السابقة لتشكل هوية

الشعب الجزائري التي تختلف عن هوية الثقافة الغربية التي أراد المستعمر أن يحلها محل الثقافة المحلية، كما ساهمت في ترسيخها في الأوساط الشعبية إلى اليوم.

II. وعدة سيدي امحمد الواسيني بمغنية

1. التعريف بالمنطقة

أ. جغرافيا:

تقع مدينة مغنية في الشمال الغربي للجزائر، وهي واحدة من أهم المدن الحدودية الممتدة على منبسط امتداد "انقاد" ،وفي اتجاه مسالك الطرق التي تشق السهول المترامية الأطراف وجبال فلاوسن وسلسلة تزارة الممتدة إلى جبال بني زناسن نحو البحر الأبيض المتوسط شمالا ،وسلسلة جبال عصفور جنوبا، ونحو مدينة وجدة وتازة غربا وتلمسان شرقا. يحدها شمالا بلدية جبالة وغربا بلدية السواني والمملكة المغربية ومن الجنوب بلدية بني بوسعيد وسيدي مجاهد ومن الشرق بلدية بوحلو وحمام بوغرارة .[1]

تتربع على مساحة 461 كلم2 قدر عدد سكانها حسب إحصائيات 2008 ب126078 نسمة،وحسب آخر التقديرات فان العدد يصل إلى 150000 نسمة موزعين على المناطق الحضرية ب 97500 نسمة ومناطق مختلفة ب 11561 نسمة،يسود المنطقة المناخ شبه الجاف الذي يتميز بالحرارة صيفا والبرودة شتاء،

[1] ينظر خريطة الموقع الجغرافي(الملحق رقم 01)

أما نسبة التساقط فغير مستقرة تتراوح مابين 350 -400 ملم سنويا،ودرجات الحرارة تتراوح مابين °18 شتاءا و °30 صيفا [1].

تتميز المدينة وضواحيها بالطابع الزراعي وقد ورد ذكر ذلك في بعض المصادر التاريخية على أنها مدينة معلومة بكثرة البساتين و الجنان والمزروعات و كثرة المياه والعيون،طيبة الهواء جيدة التربة ،يمتاز أهلها عن غيرهم بنظارة ألوانهم وصحة أجسامهم، أما مراعيها فهي أنجع المراعي و أصلحها للماشية،و يذكر أنه يوجد في الشاة ما من شياههم أوقية شحما[2]

تتميز المدينة بسهولها الخصبة الصالحة للزراعة وببساتينها التي غرست فيها الكروم والحمضيات والتين ،كما تمتاز بكثرة عيونها ،و إلى جانب أهميتها الزراعية تعد منطقة تجارية هامة بحكم موقعها وقربها من المغرب .

ظلت مدينة مغنية بحكم موقعها الاستراتيجي الرابط بين الشرق والغرب مركزا تجاريا و فلاحيا نشيطا ومنطقة لتلاقي الأفكار والثقافات والحضارات المشرقية والمتوسطية والمغربية

ب. **تاريخيا:**

ارتبط اسم المدينة بالمرأة الصالحة ذات الأصول المغربية والتي اشتهرت بورعها وتعلقها بالحج ، فقد كانت تحج باستمرار مع قوافل الحجاج فكانت كلما مرت بها تزداد إعجابا بالمدينة وعندما عادت من الحج قررت البقاء والإقامة بها

[1] توفيق بوزناشة، دليل الجمهورية، ج2،ط1 ،2015،ص 127

[2] مؤلف مجهول،الاستبصار في عجائب الأمصار ،الاسكندرية،1958،ص177

إلى غاية وفاتها فتركت سلالة من بعدها وبذلك تكونت حول بيتها وقبرها القرية ثم المدينة إلى يومنا هذا .

وبالعودة إلى عصر ما قبل التاريخ فقد كانت مناطقها الشمالية والغربية آهلة بالسكان منذ عصر ما قبل التاريخ ،إذ عثر على أحجار منقوشة و عظام تدل على وجود حضارة تعرف بحضارة المويلح* نسبة إلى النهر الذي ما زال يحمل نفس الاسم وهذه الآثار موجودة بمتحف وهران، كما تدل على ذلك الآثار والكهوف الموجودة بنواحي الشيقر*.

خلال الاحتلال الروماني للجزائر أطلق عليها اسم " نوميروس سيروروم NUMERUS SYRORUM " نسبة إلى الجيوش التي جيء بها إلى مغنية من بلاد الشام. [1]

دخل الإسلام إلى مدينة مغنية خلال القرن السابع ميلادي عن طريق البدو الرحل من القبائل العربية التي استوطنت المنطقة بحثا عن العيش والاستقرارو بذلك امتهنت القبائل الزراعة و الرعي في سهولها ،عرفت صراعات بين القبائل الأمازيغية المجاورة (بني سنوس وبني بوسعيد) والقبائل العربية الوافدة ، كما أصبحت سوقا تجاريا مفتوحة على الشرق و الغرب. وخلال الفترة الإسلامية

---

* المويلح نهر ينبع من المغرب ويصب ـ حاليا ـ في سد حمام بوغرارة (خريطة المنطقة).

* الشيقر منطقة أثرية تعود إلى العصور الحجرية القديمة تضم مغارات وكهوف سكنها الإنسان القديم، واليوم هي محطة للمياه المعدنية ذات الخصائص العلاجية،تبعد عن مدينة مغنية بحوالي 4 كم .

[1] محمد البشير شنيتي،الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ،الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب،1998 ، ص 211

أصبحت همزة وصل بين المدن المجاورة كالغزوات و ندرومة وتلمسان و فاس في مختلف عهودها.

أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر تعرضت للتوسع الاستعماري سنة 1836 عن طريق قوات الجنرال "بيجو" الذي أقام فيها ثكنة عسكرية على أنقاض ما تركه الرومان وغير الاسم "نوميروس سيروروم " إلى " لالة مغنية " عندما وجد قبة المرأة الصالحة قرب الثكنة وكان ذلك سنة 1844، وظلت المدينة عسكرية حتى سنة 1922 حيث أنشا أول مجلس بلدي ذي الأغلبية اليهودية و حذفت كلمة لالّة ذات الدلالة العربية والأمازيغية لتصبح "مغنية" فقط ،ونظرا لقربها من المغرب اتخذت منطلقا لاحتلاله سنة 1911،كما أنشأت دائرة مغنية حوالي 1956.

لقد شكلت منطقة مغنية منطلقا لمقاومة "الأمير عبد القادر" بحكم انفتاحها على المغرب الأقصى ، إذ كانت القاعدة التي يدخل عبرها إلى التراب المغربي للحصول على الدعم العسكري والاقتصادي في جهاده ضد الفرنسيين حيث شاركت إلى جانبه القبائل المغربية وذلك ما دفع فرنسا إلى استهداف القاعدة الخلفية للمقاومة من خلال الضغط على السلطان المغربي المولى "عبد الرحمن" بقبول شروط معاهدة" لالّة مغنية" في 18 مارس 1845 الموفق ل9 ربيع الأول 1260 هـ ـ بعد الهزيمة في معركة ايسلي ـ التي تضمنت سبعة شروطأهمها رسم الحدود الشمالية بين الدولة المغربية ومستعمرة الجزائر الفرنسية ، إذ تم الاتفاق على أن تمتد الحدود من قلعة عجرود (السعيدية حاليا) إلى ثنية الساسي (على امتداد 140 كلم من الساحل) [1]دون تحديد الحدود الجنوبية، فكانت هذه

[1] ينظر خريطة الحدود(الملحق رقم 02)

المعاهدة إلزاما للسلطات المغربية برفع الدعم عن الأمير عبد القادر ومحاصرته وقطع الدعم عنه. [1]

هذا بالنسبة لدورها أثناء المقاومة الشعبية ، أما أثناء الكفاح السياسي والثوري فقد شاركت كغيرها من المدن الجزائرية بفضل تضحيات أبنائها الذين خلدت أسماءهم ذاكرة الثورة التحريرية وعلى رأسهم المناضل والمجاهد "أحمد بن بلّة" أول رئيس للدولة الجزائرية المستقلة و"محمد خميستي "أول وزير خارجية بعد الاستقلال والشخصيات التاريخية "حسين قديري ،ميمون بوعزة..."رحمهم الله جميعا، وغيرهم من الشخصيات التي لا يسع المقام لذكرها ممن ضحوا بأنفسهم في سبيل الحرية والاستقلال والذين بلغ عددهم 656 شهيد أبرزهم الشهيد "ميلود بوعزة، شعبان حمدون،بن صابر الخياري،....

إلى جانب دورها التاريخي والسياسي تساهم المدينة وضواحيها في إثراء الثقافة الشعبية للمجتمع الجزائري والمنطقة بفضل ما تختزنه من أدب شفاهي (الأمثال، القصص، الأشعار،ألغاز...)، العادات والتقاليد،الفنون الشعبية،المعتقدات الشعبية ما يستدعي إعادة البحث والتنقيب عن هذه المكنونات وتصنيفها من جديد.

مجمل القول مدينة مغنية بحكم موقعها الحدودي الاستراتيجي سمح لها أن تلعب أدورا بارزة سواء التاريخية والسياسية والاقتصادية والثقافية لكونها منطقة عبور نحو المغرب والشرق ونقطة اتصال بين الحضارات التي عرفتها المناطق المجاورة لها ،لذلك ساهمت في إثراء الجوانب الثقافية والاجتماعية للمنطقة

[1] إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبدالقادر، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1982، ص ص: 281 - 282

المتأصلة في عاداتها وتقاليدها وذلك من خلال موضوع بحثنا الذي يتمحور حول أهم تظاهرة ثقافية في المنطقة الشمالية الغربية وهي وعدة سيدي امحمد الواسيني التي تستقطب مختلف الزوار والوافدين من مختلف أنحاء البلاد.

ج. **أصل سكانها:**

عن سكانها الأوائل فقد استوطن المدينة وضواحيها عدة قبائل أبرزها قبيلة "بني واسين " والتي تختلف المصادر التاريخية حول أصولها ،حيث ورد أصلهم أنهم من أبناء واسين بن يصلتين وجدهم زانا بن يحي ،اشتهروا بفرعيهم بادين وورتاجن فمن بادين تفرع بنو عبد الواد ، وبنو توجين وبنو زردال، وبنو مصاب. أما ورتاجن فمنهم بنو مرين وأما بنو راشد فأبوهم راشد أخو بادين من أبيهما محمد لذا اندرجوا في بني عبد الواد وبنو زردال وبنو مصاب التحقوا ببني عبد الواد وبنو توجين تأتي أهميتهم في الدرجة الثانية بعد بني عبد الواد نظرا لكثرة عددهم وشدة بأسهم [1].

كما تقول المصادر التاريخية أن بني واسين انظم منهم بنو عبد الواد إلى عقبة بن نافع في ولايته الثانية وأبلوا معه في الجهاد وساندوا أبا يزيد في ثورته على الفاطميين إذ حاصروا توزر[2] ، وأهم بطون بني عبد الواد هم: بنو طاع الله ، بنو كمي، بنو مطهر. أما بطون بني مرين فأهمهم: بنو عسكر،بنو وطاس، بنو يابان. أما بطون بني توجين فهم: بنو مدن،بنو رسوغين وتفرعوا جميعا إلى عدد من الأفخاذ أشهرهم: بنو منكوش المنتسبين إلى بني رسوغين وبنو يدلتن وبنو

[1] Ammar Dhina,cites musulmanes d'orient et d'occident ,entreprise nationale du livre, Alger, 1986 ,p80

[2] عبد الرحمن بن خلدون، العبروديوان المبتدأ والخبر،مج 7،ص ص:120 -131

يزناسن المنتسبين إلى بني مدن، وإلى يدلتن ينتمي بنو سلامة أصحاب قلعة تاوغزوت الشهيرة التي لجأ إليها ابن خلدون أين شرع في تأليف كتابه العبر[1] .

كان بنو واسين في عهودهم الأولى مغلوبين للطبقة الأولى من زناتة إذ كانوا من أهل الضعن والخيام ومن المنتجعين عبر السهوب والسباسب في ربوع المغرب وإفريقيا ما بين ملوية والزاب. ولما أخرج الصنهاجيون أهل الطبقة الأولى من

زناتة عن المغرب الأوسط ظل بنو واسين في منتجعهم معتزين ببداوتهم حتى العهد الموحدي . وما أن دب الهرم في الدولة الموحدية حتى شرعوا في الاستبداد والتطلع لمراتب الملك إلى أن وصل بنو عبد الواد إلى مرتبة الملك عندها دب الخلاف بين بني بدين وانقسمت عصبياتهم إلى عصبيات اصغر وأضيق فبرز عندئذ بنو مرين وقويت شوكتهم فتشتت قبائل بني واسين بين المغربين الأوسط والأقصى أي ضمن دولة بني عبد الواد وبني مرين وإمارة بني توجين وظل الاقتتال بين هذه الدول طيلة سنوات وجودهم.

2. تعريف بالولي الصالح:

حسب المصادر الشفاهية المتداولة بالمنطقة فان المغفور له الولي الصالح "سيدي امحمد الواسيني" ولد في حدود سنة 1771 م بالسهل الخصب الممتد على أطراف واد المويلح* وواد تافنة*، وينحدر نسبه من بني مرين، بنو ورتاجن ،بن ماخوخ، بن يذر، بن يخفث، بن عبدالله ،بن ورتنيص ،بن المعز، بن ابراهيم ،بن سحيق بن واسين وينسب الولي الصالح إلى سحيق بن واسين،بن يزلتين،بن ماسرة،بن

[1] أبو زكرياء يحي بن خلدون،بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،ج1 ،تح:عبد الحميد حاجيات،الجزائر،1980 ،ص80

زكية،ابن جراوة،ابن عدلت ابن شانة(أب زناتة الذي ينسب إلى كنعان بن حام) الذين سكنوا التل الجزائري في القرن 12م. وحسب الروايات الشفاهية فان الولي الصالح سيدي طلحة جاء من مكة و حط رحاله على ضفاف واد "وردفو" و كان له أربعة أولاد هم أصول العروش الموجودة بالمنطقة من بينهم عبد الله الذي جاء من نسله أولاد عبد الله أبو سيدي امحمد الواسيني (أب قبائل بني واسين).

يعد المغفور له من الشخصيات الدينية الحافظة لكتاب الله و الدعاة الصالحين زاده جاهه وسلطانه في تأطير شعوب مابين سلطنة زناته على حدود وادي صفا وملوية ، مما أكسبه ولاء ووقارا لدى قبائل بني واسين ،توفي رحمه الله سنة 1846 حسب ما هو مدون على قبره (إذ لم نجد مصادر تاريخية حول هذه الشخصية ماعدا المتواتر عن أبناء العرش)، ويعد ضريحه مقاما صالحا موقرا ومزارا سنويا ،و تعتبر وعدة "سيدي امحمد الواسيني" من أشهر التظاهرات الدينية والثقافية التي تحييها مدينة مغنية سنويا وقبائل بني واسين خصوصا ،إذ يعد هذا الولي الصالح الجد الأول المعروف لدى قبائل بني واسين و الذي تقام على شرفه هذه التظاهرة الثقافية سنويا وذلك ما يبرز العلاقة بين هذه القبيلة والولي الصالح أي جدها الأول.

الفصل الثالث

دراسة في المظاهر الإحتفالية لوعدة " سيدي محمد الواسيني بمغنية "

تمهيد

I. المظاهر الدينية

1. الحضرة الصوفية
2. زيارة الضريح
3. الإطعام
4. الفاتحة

ـ رمزية الطقوس الدينية

II. المظاهر الفولكلورية(الفنون الشعبية)

تمهيد

1. الفروسية
2. الرقص الشعبي
3. الألعاب الشعبية

ـ رمزية الفنون الشعبية

"الوعدة" طقس مرتبط بظاهرة تقديس الأولياء الصالحين والاعتقاد في بركاتهم وقدراتهم ، ذلك أنها نذر يقام دوريا في مواسم معلومة و أماكن ثابتة حول أضرحة الصالحين مما يضفي عليها هالة من القدسية ، ولقد استمرت هذه الظاهرة في المجتمع الجزائري بفضل العادات والتقاليد الشعبية التي حافظت عليها رغم أن أسباب وجودها قد بدأت تتلاشى في ظل انتشار التعليم والوعي الديني .

توجد اختلافات بسيطة بين الوعدات المنتشرة عبر التراب الوطني في بعض مظاهرها إلا أنها تتشابه فيما بينها في الفنون الشعبية المصاحبة لها كألعاب الفروسية و الموسيقى والرقص الشعبي المحلي وبعض المظاهر الدينية (الحضرة، الذكر ،زيارة ضريح الولي ،مدائح دينية،الإطعام) والتي تشكل في مجملها مظاهرا للفرح والاحتفال بالولي الصالح وأساسا لقيام مثل هذه التظاهرات،لذلك نجد أن الأفراد والجماعات ألفت الفنون الشعبية المصاحبة للوعدة أكثر من الدوافع الجوهرية لقيامها.

إذن تشكل الوعدة تظاهرة إحتفالية سنوية لأبناء عرش بني واسين تعبر من خلالها عن وجودها وعن تمسكها بعاداتها وتقاليدها وبأوليائها من خلال الإلتزام بهذا الموعد ،وفي هذه الإحتفالية تتمازج المظاهر الدينية والفنون الشعبية التي تكون الذاكرة الجماعية بما تختزنه من معتقدات دينية وفنون شعبية مختلفة انعكست على عاداتها وتقاليدها المستمدة من تاريخها الثقافي والفكري.

الطـقـوس والمظاهر الاحتفـاليـة

1- التحضير و التنظيم:

- التحضير:

ساد العرف في مختلف مناطق الجزائر إقامة هذه الوعدات خلال فصلي الربيع و الخريف، إلا أن اغلبها يكون خلال فصل الخريف و بالضبط مع بداية موسم الحرث و البذر طلبا للغيث، و تكون مع نهاية الأسبوع لمدة ثلاثة أيام ابتداء من يوم الأربعاء إلى غاية يوم الجمعة.

أما بالنسبة للوعدة التي تختص بها مدينة مغنية "وعدة سيدي امحمد الواسيني" فإنها تقام مع بداية يوم الثلاثاء و تختتم مساء يوم الخميس، وقد تقام أحيانا مرتان في السنة أي في فصل الربيع (شهر مارس) مع نمو الزرع و بداية الجفاف وعادة مع نهاية الموسم الفلاحي (شهر سبتمبر)،يتكفل بها عرش بني واسين* والعشائر* المكونة له.

يبدأ ألتحضير لهذه المناسبة من طرف عرش"بني واسين" الذي ينتسب إلى الولي الصالح، و يتكفل بذلك أعيان و شيوخ و أتباع الولي المنتمين إلى زاوية سيدي المصطفى*، حيث يذكر لنا المقدم *"قيطوني الواسيني" أن كل قبيلة تعين ممثلا عنها حيث يجتمع ممثلو الأربعة و العشرين قبيلة لدراسة عملية توفير اللوازم وتنظيم التظاهرة و الاتفاق على تحديد تاريخ الوعدة على أن لا يتزامن الإحتفال

---

* الزاوية العلوية تنسب الى مؤسسها أحمد بن مصطفى العلاوي المعروف عند العامة بعليوة المستغانمي العلاوي،ولد بمستغانم (1291 هـ -1874 م)،أخذ عن علماء ومشايخ بلده أبرزهم سيدي أحمد بن عيسى المكناسي ومحمد بن الحبيب البوزيدي ،لازم شيخه الى غاية وفاته (1327 هـ - 1909م) بويع بالمشيخة وأسس الطريقة العلوية(1333 هـ -1914 م)،يعد مجدد الطريقة الشاذلية.

* العرش لغة هو المُلك أو كرسي الحكم ،قوام الأمر والعز ،وعرش القوم رئيسهم المدبر لأمورهم، وفي العرف هو مجموع القبائل المرتبطة بروابط القرابة والانتماء لجد واحد.

* العشيرة وحدة أصغر من القبيلة ،ومجموع العشائر تكون قبيلة.

* المقدم هو رئيس العرش ،يمثله لدى مجلس القبيلة المتكون من رؤساء العشائر،ويشترط فيه سداد الرأي والحكمة و الصرامة والخبرة في المواقف الاجتماعية ،وينسق بين المقاديم لضبط مواعيد الوعدة.

مع أكثر من وعدتين في آن واحد، وذلك بهدف السماح للزوار والمهتمين والمدعوين بالمشاركة في كل الوعدات المعروفة بالمنطقة أو المناطق المجاورة، و لتفادي الحساسيات و النزاعات بين العروش و منح الفرصة للجميع لاكتشاف مميزات كل وعدة.

بعد التفاهم و الاتفاق حول الزمان يتم الاتصال بمصالح البلدية و السلطات المحلية من أجل الحصول على الرخصة و توفير الماء و الكهرباء و الأمن لضمان سيرها الحسن،بالنسبة للمكان فإنها تقام في غابة "سيدي امحمد الواسيني" حيث يتواجد ضريح الولي على امتداد منبسط يقع على بعد سبعة كيلومترات إلى الشمال الشرقي من مدينة مغنية و بالضبط بسهول قرية البطيم*.

فور انتهاء الاجتماع الخاص بالتظاهرة يذاع الخبر من قبل أحفاد و خدام الولي الصالح و التابعين له من أبناء القبيلة المنظمة إما كتابيا أو عن طريق الهاتف والفاكس للمناطق البعيدة و أحيانا أخرى يذاع الخبر في الإذاعة المحلية (إذاعة تلمسان) و ذلك كله أسبوعا قبل بدايتها لضمان حضور كل المناطق التي تعودت المشاركة ،حيث يتم استدعاء الفقهاء و طلبة الزوايا و الفرق الفلكلورية والفرسان و شخصيات المجتمع المدني و أصحاب النفوذ و المهتمين بالتراث.

* قرية البطيم"تريبان "أو TERIBINTH قرية تبعد عن مدينة مغنية بحوالي 5 كلم تضم عدة عشائر من بني واسين، تتكفل سنويا بتنظيم الوعدة ،واليها ينتسب مقدم الضريح .

- التنظيم :

يتم استغلال المكان المخصص للوعدة كالآتي، :الساحة الكبرى(الطَحْطاَحَة)* مخصصة لعرض الفروسية (القوم)،وعلى جوانبها تنتشر الفرق الفلكلورية التي تطرب الحضور بمختلف الطبوع الموسيقية و الرقص الشعبي إضافة إلى الباعة الذين يعرضون بعض التحف التقليدية والمصنوعات التقليدية و الخضر والفواكه و الحلويات التقليدية التي يتزود منها أصحاب التظاهرة و الزوار.

أما الخيام فتنصب بين الأشجار بعيدا عن ساحة الفروسية منها الخيام الاصطناعية (القياطين) *أو الخيام المغربية الصنع(الخُزَّانَة) *لاتساعها وجماليتها، و قد يصل عددها أحيانا إلى أربعين خيمة حيث أن الخيام الكبيرة تخصص لاستقبال الضيوف و الوافدين،أما الصغيرة منها فتخصص للنساء أو الطبخ و تستغل ليلا للمبيت ويتم عزلها عن الحركة ،و أخرى لعقد اللقاءات الجانبية و الأخوية بين الأعيان و تبادل أطراف الحديث حول أمور تخص التظاهرة أو علاقات عائلية و عروشية. بالنسبة للمنظمين فان كل أسرة تجلب مستلزماتها لطهو الطعام إذ يتكفل كل فرد بذبح شاة لإطعام الزوار و الوافدين ،و الأكلة الشعبية السائدة هي الكسكسي (الطْعام).

---

*الطَّحْطَاحَة بالتعبير المحلي هي الساحة الكبرى أو الميدان المخصص لمنافسات الفروسية يقع تحت الضريح مباشرة.

*القياطين (القيطون) بالتعبير المحلي هي الخيام المصنوعة من قماش اصطناعي .

*الخُزَّانة هي خيام مغربية الصنع تتميز بشكلها المخروطي واتساعها وجماليتها ، بيضاء من الخارج ومزينة من الداخل تستخدم في الاحتفالات الكبرى كالزفاف والوعدات والمآتم وغير ذلك .

مع بداية يوم الثلاثاء تكون كل الأمور على أهبة الاستعداد وفي منتهى التنظيم حيث يبدأ الفرسان و الزوار بالتوافد أين يتم استقبالهم بحفاوة و يضمن لهم المنظمون الأكل والشرب و الراحة و المبيت ،ويبدأ توافد فرق الفرسان عشية الثلاثاء حيث يتكفل المنظمون باستقبالهم وضمان راحتهم استعدادا للمشاركة إذ يروي "المقدم" أنه تشارك في هذه التظاهرة الفنية عدة فرق من مختلف المناطق المجاورة التي تم استدعاؤها ، وبالنسبة للوعدة (موضوع الدراسة) فالفرق تنحدر من صبرة ،أولاد نهار،سيدي بلعباس،معسكر،مستغانم، المشرية،عين الصفراء،المناطق المجاورة لمغنية (جبالة، ،السواني ،مرسى بن مهيدي) بالإضافة إلى فرسان المنطقة إذ يتجاوز عدد المشاركين أربعة وعشرون علفة *، وبذلك يبدأ موسم الفروسية ابتداء من يوم الأربعاء.

و من هنا تبدأ حكاية التعارف و التلاقي و تمتين أواصر الأخوة بين العائلات والأفراد من مختلف المناطق،و مع انتهاء التنظيم ووصول الفرق الفلكلورية والفقهاء و الطُّلْبَة و الزوار مع ظهر يوم الثلاثاء يبدأ الموسم الثقافي والديني إلى غاية يوم الخميس مساءا.

2 ـ المظاهر الدينية :

يحظى الدين بالقسط الكبير من الاهتمام والحضور في الوعدة باعتبار أن الظاهرة نابعة من المعتقدات الدينية الصوفية التي تقدس الأولياء الصالحين وتقام على شرفهم مثل هذه الطقوس رغبة في حصول الجميع على ثواب الله وبركة الولي الصالح، وذلك من خلال حضور شيوخ الطرق الصوفية وحفظة القرآن

* العلفة هي فرقة الفرسان تتكون من سبعة إلى خمسة عشر فارسا ،وقد تسمى السَّرْبَة،وهي تشبه الفرقة العسكرية من الفرسان .

ومريدي الصوفية من مختلف الطرق المنتشرة بالغرب الجزائري كالطريقة الهبرية ،الشاذلية،العلوية،العيساوية.. حيث تخصص لهم خيمة خاصة فيها تقام طقوس الحضرة وتلاوة القرآن، ويؤدون الصلاة جماعة في المصلى المجاور للضريح إضافة إلى طقوس زيارة الضريح وإطعام الزوار والوافدين ، ويكلف الشيوخ في نهاية التظاهرة بالفاتْحَة.

أ- الحضرة الصوفية:

- لغة:الحضرة : الحضور ،قرب الشيء[1] ومن دلالاتها الخشوع والتبتل واستحضار القلب وقت الذكر لنيل الخلاص.

- اصطلاحا :هي نوع من أنواع الذكر، ومجلس من مجالسه ، والذكر مصطلح يطلق على جميع العبادات ، بل انه أساس كل الشعائر في الطرق الصوفية المنتشرة في اغلب مناطق الوطن العربي ومنه الذكر باللسان وذكر القلب والذكر الحركي، وقد يكون الذكر انفراديا يؤديه السالك في خلوته أو في غيرها، وقد يكون جماعيا يؤدى في مجلس خاص [2]،عملا بقوله تعالى:"يا أَيُّها الّذين آ منوُا اذْكُروا اللَّهَ ذِكْرًا كثيرًا وَسَبّحوهُ بُكْرَةً وأَصيلاً" [3]وقوله:"اذْكُروني أذكُرْكُمْ واشْكُروا لي ولا تَكْفُرونْ". [4]والى نصوص القرآن والسنة استند الصوفية في مشروعيته، وللذكر عند الصوفية أهمية كبرى فلا وصول للقرب من الله و تلقي الحقائق

[1] معجم المعاني، شبكة الانترنت www.almaany.com
[2] محمد الجوهري،موسوعة التراث الشعبي،المج6،الهيئة العامة لقصور الثقافة،القاهرة ،2012، ص ص: 116 - 117
[3] سورة الأحزاب(الآية 40 - 41)
[4] سورة البقرة(الآية 152)

المعرفية ، وتزكية النفس و تطهيرها بدونه، لذلك توجد لكل طريقة أورادها الخاصة بمريديها هي بمثابة عمل اليوم والليلة.

تتعدد الآراء حول مفهوم الحضرة إذ يعرفها البعض على أنها اللقاءات والاجتماعات التي يعقدها شيخ الزاوية مع مريديه يتم فيهما دراسة كل القضايا المتعلقة بالزاوية ،كما تعرف بأنها "الملتقى الذي يجتمع فيه المقدمين مرة أو مرتين في السنة مع شيخ الطريقة أو مع خليفته ،فيسنح لهم مناقشة جميع القضايا التي تمس الجماعة ،فيجمع الشيخ الأموال ويعددها ويستفسر عن كيفية تسيير المقدمين لزواياهم ،ويوجه التعليمات والرسائل للفقراء"[1].وتعرف على أنها "مرادفة لكلمة الذكر الذي يعد أساس الطريق الصوفي ،وبدون الذكر لا يصل أحد إلى معرفة مولاه ،وهو ضروري في كل المراحل التي يمر بها المريد لتزكية نفسه وتطهير قلبه".[2]

رغم تعدد الآراء حول مفهوم الحضرة إلا أننا نرى أنها طقس من طقوس الصوفية يتم فيها اجتماع أصحاب الطريقة الصوفية مع شيخهم أو من ينوب عنه في أوقات معلومة بهدف الذكر وتلاوة القرآن والدعاء ، وقد تصاحب هذه الحضرات بعض الابتهالات والأناشيد الدينية إنشاد المدائح التي يصاحبها اهتزاز وحركة من المريدين*، وتمثل أحد الأنشطة الشعائرية للطرق الصوفية يتجمع فيها

[1] louis Rinn, Marabouts et khouans ,étude sur l'Islam en Algérie ,Librairie de l'académie ,Alger,1984,p8

[2] منال عبد المنعم،مرجع سابق، ص235

* المريد هو المتعلم على شيخ الطريقة الصوفية و هي رتبة من رتب الصوفية،له درجات وعليه أن يقرأ أورادا في اليوم والليلة يكلفه بها شيخه ليسير على طريقته للتصوف وذلك ضمن تربيته للمريد.

أتباع الطريقة في يوم معلوم لأداء الذكر(الحركي وغير الحركي) وقراءة الأوراد والأحزاب الخاصة بطريقتهم، ويكون الحضور معناه حضور المريدين وتجمعهم في مكان واحد أو من الاعتقاد في أرواح الأولياء والموتى أو روح النبي إلى المكان إثناء إقامة الشعائر[1] .

تقام الحضرة في المناسبات الدينية وأوقات حصول البركة ، المولد النبوي، موالد الأولياء والذكرى السنوية لوفاة أحد المشايخ ، وقد تؤدى في بعض البيوت لأجل حصول البركة لأن المكان يتسم بالطهارة والنظافة وتقام الحضرة دوريا كل أسبوع ليلة الجمعة أو عقب صلاتها.هذا وتعد الحضرة بدعة لم تكن موجودة عند السلف الصالح من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ـ طقوس الحضرة :

لكل طريقة صوفية طقوسها الخاصة بها،غير أنها تتشابه في خطوطها العامة وهي الأوراد العامة والخاصة ،ومن شروط إقامتها :الطهارة الكبرى والصغرى للبدن،طهارة اللباس(يستحب لبس البياض كالعباءة أو الجلابة)،طهارة المكان ،الصحة البدنية،مراعاة المريدين والمدعوين للآداب وتجنب الكلام بصوت مرتفع أو الثرثرة أو الضحك لأنها حضرة الله ،إمتثال المريدين للجماعة في الحركة والسكون والإيقاع واستحضار النية الخالصة .تكون الحضرة عادة إما في الزاوية أو منزل ،وفيهما يكون الباب مفتوحا للجميع للتوبة والرجوع إلى الله .

بالنسبة للحضرة المقامة أثناء الوعدة فنظرا لمشاركة العديد من الطرق الصوفية فيها فإنها تقتصر على قراءة القرآن وبعض الأذكار ,فبالنسبة للوعدة المقامة

[1] محمد الجوهري ،المرجع السابق ،ص266.

بمغنية ففيها تتم قراءة الفاتحة وتتبع بقراءة ما تيسر من القرآن الكريم قراءة جماعية وتختم بالأوراد* الخاصة بطريقتهم الصوفية والأذكار التي تتمثل في التسبيح (سبحان الله)والتحميد(الحمد الله) والتهليل(لا اله إلا الله)ثم الاستغفار (استغفر الله ،يا لطيف) ثم الصلاة على الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، ويتم ترديد ذلك حسب كل طريقة.

إلى جانب الأذكار يقومون بإنشاد بعض المدائح الدينية ويترنمون بمدائح الرسول صلى الله عليه وسلم وترديد الأذكار والتهليل و التكبيرات وتقديم المواعظ الدينية ،وعند اختتام الجمع يقوم الشيخ أو من ينوب عنه من المريدين بقراءة دعاء كفَّارة المجلس وفيه يتم الدعاء للصالحين والأولياء ومشايخ الطريقة والمريدين والأتباع والحاضرين والمستضيفين للحضرة وللمسلمين كافة ويختم الدعاء بقراءة الفاتحة جماعة.

ب ـ زيارة الضريح:

ـ لغة: الزيارة مصدرها الزّور،و يدل على الميل و الرغبة إلى الطرف آخر والعدول عن غيره . و الزور: الميل، و يقال: زور القوم رئيسهم وسيدهم ، الزَّور:الذي يزورك [1]، الزيارة في اللغة هي القصد و التوجه إلى مكان أو فضاء أو مجال من أجل لقاء صديق أو مريض أو قريب من الأهل و تكون في الغالب بسبب من أسباب الفرح أو الحزن.

*الورد هو أذكار اليوم والليلة والأسبوع ،وهي ما يلقنه الشيخ لمريديه فيأتون به صباحا ومساءا ولكل طريقة أذكارها وصلواتها،منها ما هو إجباري ،ومنها ما هو اختياري ولبعضها طقوس منها لزوم الإذن من الشيخ(ينظر:غالب العواجي ،فرق معاصرة ،ج3 ،ص55)

[1]ابن منظور،لسان العرب ،ج3،ص ص:213-214

والزيارة في اللغة هي القصد و التوجه إلى فضاء أو مجال من أجل لقاء صديق أو زيارة مريض من الأهل و تكون في الغالب بسبب مناسبات فرح أو حزن و يعرفها الشيخ مبارك الميلي:"الزيارة في معناها اللغوي تختص بمجيء بعض الأحياء لبعض مودة و محبة"[1]

ـ اصطلاحا: في الثقافة الشعبية "الزْيَارَة" تعني زيارة الأماكن المقدسة في مواسم الحج و العمرة، أو زيارة قبور الموتى و أضرحة الأولياء الصاحين للتبرك بهم، و قد تستخدم في مجال آخر و هو نوع من العطايا أو المال الممنوح لقضاء حاجة.

من خلال المفاهيم المختلفة فان زيارة الأموات هي المقصودة في هذا الباب، وزيارة المقابر في الإسلام تكون بهدف التذكر و التعبد و الدعاء للميت لا أكثر لقوله صلى الله عليه و سلم " كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُورُوهَا".[2]

و عن بريدة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم:" السَّلَامُ عَلَيْكم أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَ المُسْلِمِينَ وَ إنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَ لَكُمْ العَافِيَةِ"[3]

من خلال الحديثين تكون زيارة القبور بهدف التذكر و الدعاء للأموات لا أكثر، غير أن الاعتقاد في الموتى و كرامات ألأولياء و قصد قبروهم و أضرحتهم للتبرك و قضاء الحاجات ترتبط بمعتقدات الصوفية التي غرست فكر الاعتقاد في

[1] مبارك بن محمد الميلي ،رسالة الشرك ومظاهره،ص333
[2] أبو زكرياء يحي بن شرف النووي الدمشقي،رياض الصالحين،مكتبة الزمان للثقافة والعلوم ،المدينة المنورة ،ط1،1988 ،ص211
[3] نفس المرجع،ص212

الشيخ في حياته وبعد مماته ،وزيارته في قبره واجبة لأن كرامته تلازمه بعد وفاته .

من هذا المنطلق تظل زيارة قبور الأولياء مستمرة في المجتمع الجزائري والتي ظلت محل استهجان علماء الدين لكونها لم تكن بهدف التذكر والدعاء للموتى وإنما ارتبطت باعتقادات باطلة أشركت في الدعاء روح الميت وقصدت غير الله،و تكون الزيارة جماعية أو فردية كممارسة طقوسية يمارسها الزوار بمناسبة الوعدة قصد التماس البركة و البحث عن الطمأنينة و الشفاء من الأمراض النفسية و العضوية وتحقيق الأمنيات و الذي لا يتحقق إلا عن طريق الوسيط المقدس (الولي الصالح) و ذلك ما يتنافى مع ما نصت عليه الشريعة الإسلامية السمحاء كونه شرك بالله لقوله تعالى :"فلا تدعو مع الله أحدا" [1]و يقول الرسول صلى الله عليه و سلم :" إذا سألت فاسأل الله ،و إذا استعنت فاستعن بالله" والميت انقطع عمله عن الناس وهو بحاجة إلى الدعاء و الاستغفار له.

وهذا ما يدل على استمرار هذه المعتقدات الباطلة في يومنا هذا رغم انتشار الوعي الديني تلك الطقوس المصاحبة لزيارة ضريح الولي.

ـ طقوس الزيارة:

الملاحظ على هذه الظاهرة أن النساء هن الأكثر إقبالا على زيارة القبور والأضرحة في مختلف أنحاء البلاد وفي ضري ،و من الملاحظ أن الزوار منهم من يزور الضريح إيمانا منه بقدرة الولي على الشفاء وتحقيق الأمنيات فيؤدي كل

[1]سورة الجن(الآية18)

طقوس الزيارة بحذافيرها وصنف آخر يعتقد و يتحفظ أي يعترف ويقر بوجود الولي كرمز لكن لا يعطيه صفة القداسة ويكتفي بقراءة الآيات و الدعاء له بالرحمة ، وصنف لا يعتقد ويعتبر الزيارة بدعة* وشرك ويرفض ذلك .

أما عن الطقوس الملاحظة فأولها خلع الأحذية قبل دخول الضريح باعتباره مكانا مقدسا و الطواف حول القبر مشعلا الشموع أو عيدان الطيب (البخور)أو تقبيل الجدران وطلائها بالحناء و التمسح بتراب القبر و الجدران و تقبيلها و غيرها من الطقوس التي يرمي من خلالها الزائر الحصول على بركة الولي و تحقيق غاياته أو شفائه إذ يدعو باسم الولي "يا سيدي فلان..."ثم يذكر حاجته، و القليل منهم من يدخل بنية الترحم على الميت والدعاء له.

إن الملاحظ على هذه المعتقدات و الطقوس المصاحبة لها لا زالت تعمل من خلالها بقايا الوثنية القديمة و ذلك من خلال إشراك مخلوق في إرادة الله و النذر له من دون الله و هذا ما يعاب على هذه الطقوس واعتبارها شركا محرما بالنص والآية رغم انتشار الوعي الديني في مجتمعنا ،وعموما تظل هذه الظاهرة مستمرة و منتشرة في الأوساط الشعبية و بين جميع الفئات الشعبية ذات القيمة العلمية و الاجتماعية لأن المعتقدات الشعبية ترسخت في المخيال الشعبي رغم الحقائق العلمية التي تتنافى معها، وذلك كله ما يجعل الظاهرة موضوعا شائكا يصعب الخوض فيه.

*البدعة لغة هي الشيء الذي ليس على مثال سابق ومن حيث الشرع هو كل محدث مما يخالف شرع الله وأوامر الله ورسوله،لقول الرسول صلى الله عليه وسلم:"كل بدعة ضلالة" ومنها الاحتفال بالموالد وتعظيم القبور والبناء عليها والاجتماع عندها ودعائها والاستغاثة بها.

جـ - الإطعام (الإكرام):

يعد الإطعام أحد الطقوس الهامة المرافقة لحيثيات الوعدة، ويعرف بعدة أسماء منها الزردة أما المتداول عند سكان "مغنية" فيعرف بِالطْعام و منذ أن تبدأ التظاهرات الخاصة بالوعدة تبدأ عملية إطعام الزوار و المدعوين ،إذ تتكفل كل أسرة من العشائر المنتسبة للولي الصالح بإحضار كل مستلزمات ذلك حيث تذبح رؤوس الماشية(غنم،ماعز)في مكان الوعدة قرب الضريح أو قرب خيامهم أو تجلب مذبوحة ، وتتكفل النسوة بطهو المأكولات التقليدية و على رأسها الكسكسي بالخضر واللحم "الطْعام"بالتعبير المحلي في أوقات الغداء و العشاء ،إلى جانب الكسكس المُحَلّى(السَّفّة) و التمر و الحليب والقهوة المرفوقة بالحلويات التقليدية المحلية مثل الكعك التلمساني و الثريد المسقي بالعسل و حتى الخبز العائلي (المَطْلُوع) وكل ذلك على حساب قدرات كل فرد و إمكاناته المادية.

يظل الإطعام منذ بداية توافد الزوار إلى غاية نهاية الوعدة و الأولوية للضيوف والمدعوين حيث يكلف القائمون عليها بمراقبة سير و تنظيم العملية التي تعد إحياء لطقوس الطعام التي كانت تقوم بها الزوايا من خلال إطعام الفقراء والمحتاجين وعابري السبيل و الصدقات للفقراء و المساكين في أوقات مضت، غير أنها أصبحت تقام إكراما للأولياء كنوع من القرابين و النذور لضمان تحقيق الأماني ورغبات الجماعة و لطلب الغيث عادة وحصول رضا الولي .

الإطعام نابع من عادات وتقاليد العرب قبل الإسلام وبعده،وهو نابع من شمة الكرم التي اتصف بها المسلمون،ونظرا لكون الزوايا مثلت المؤسسات الاجتماعية

والتربوية والدينية في المجتمع الجزائري ـ سابقا ـ فقد ظلت مأوى للفقير والمحتاج وعابري السبيل تقوم على إطعام زوارها وبذلك استمرت هذه العادة التي ارتبطت بالمناسبات الدينية كالمناسبات الدينية والوعدات .

والطعام أو الكسكسي يكتسي رمزية خاصة ضمن أنواع الأطعمة بالمغرب العربي عامة والجزائر خاصة فهو رمز للبساطة وعدم التكلف ،وهو طعام يساوي بين الفقير والغني وهو رمز البركة والنعمة الدائمة يرجى من خلالها القبول من الله .

عموما إن طقس الإطعام يتقاطع في أهدافه ،فمن جهة هو إحياء لخصال الكرم والجود المتأصلة في المجتمع الجزائري والنابعة من ثقافته العربية الإسلامية ، و من جهة أخرى فهي تقديم للصدقات و الذبائح لغير وجه الله وذلك محرم بالنص والإجماع.

د ـ الفاتحة :

تعرف بالفَاتْحَة، تكون في آخر يوم مع صلاة العصر من يوم الخميس عند اختتام التظاهرة ،حيث يكلف أحد شيوخ الحضرة أو المقدم أو إمام المسجد ،إذ تتشكل دائرة كبيرة تضم الفئة المنظمة المشرفة على زاوية الولي الصالح و المشايخ والأعيان و إمام القرية أو مقدم الزاوية،حيث تقرأ الفاتحة بصوت مرتفع وتختتم بالدعاء للعباد و البلاد بالخير،و يهبون ثواب الفاتحة للحاضرين و لأمة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم أجمعين و يدعون بالصلاح لكافة الناس و الشفاء للمرضى و بالرحمة للموتى من الأولياء الصالحين و مشايخ الصوفية الذين

لقنوهم العهد *و للقائمين على "الوعدة " ، و التوجه بالدعاء إلى الله بإغاثة البلاد و العباد،ثم يؤمِّن الحضور "آمين"،ثم يتفرق الجمع متفقين على نفس الموعد في السنة المقبلة.

ـ رمزية المظاهر الدينية:

لقد ساهمت "الوعدة "كطقس ديني مرتبط بتقديس الأولياء في الحفاظ على تراث المجتمع الجزائري عموما و المحلي خصوصا ،و تعمل على تماسك القبيلة وتضامن أفرادها وإقرار نظام القيم داخلها والحفاظ على ثقافة المجتمع وخصوصياته،وإحياء التدين الشعبي ـ رغم ما يشوب المعتقدات من انحرافات ونقل خصال المجتمع المتجسدة في قيم التعاون والمساواة والكرم إلى الأجيال بكل معانيها .

أما الطرق الصوفية فقد ساهمت بمؤسساتها و مناهجها في تربية الفرد في سلوكه وثقافته حافظت على اللغة العربية و الدين و الأخلاق الحميدة كما كانت الزوايا مساجدا ومدارسا لتعليم القرآن والدين ومأوى للطلبة بدون مقابل ،فكانت مناهجها دستورا منظما للروابط الاجتماعية والأخلاقية للفرد و المجتمع رغم مبالغتها وغلوها في بعض المفاهيم العقائدية كتقديس الأولياء الصالحين،إلى جانب ذلك أدت دورا اجتماعيا من خلال إزالة الخلافات بين مختلف فئات المجتمع وفك النزاع بين العشائر والقبائل ، و إيواء العجزة والمساكين ،كما كانت أماكن لحماية

* العهد في اللغة الوصية والموثق والأمان واليمين وفيه يتعهد المريد أن يعاهد شيخه على الطاعة والتحلي بالصفات الحسنة، وعند الصوفية هو الذي يربط بين الشيخ والمريد وهو أوثق رباط بين رجلين تحابا في الله وتعاهدا على طاعته ،وهو بيعة الله وفي الله وبالله.

الأخلاق وتحصين الإيمان وهي زوايا النصرة والدفاع والخير المستمر وحصن أمام الاستعمار الفرنسي الذي أراد طمس الهوية الدينية والثقافية للشعب الجزائري

3- المظاهر الفلكلورية(الفنون الشعبية):

الفلكلور(folk Lore) أو التراث الشعبي هو عادات الناس وتقاليدهم وما يعبرون عنه من آراء وأفكار ومشاعر يتناقلونها جيلا عن جيل،ويتكون الجزء الأكبر من التراث الشعبي من الحكايات الشعبية ،الأشعار،القصائد المتغنى بها والقصص البطولية والأغاني والأمثال والفنون والحرف والرقص واللعب والاحتفالات والأعياد الدينية التي انتقلت بالمشافهة والمحاكاة.[1]

تعتبر الفنون الشعبية أحد أهم وعناصر الثقافة التي تميز مجتمعا عن آخر،والثقافة هي الوعاء الذي يستوعب كل ما أنتجته الشعوب على مر التاريخ من تراث مادي ولامادي ،وتفاعل تلك الشعوب مع محيطها وبيئتها وانعكس على سلوك وقيم ومعتقدات وفنون شعوبها لتفرز في النهاية ميزة خاصة بها تختلف عما جاورها من شعوب.

الفن لغة مصدر ،جمعه أفنان وفنون وهو تطبيق الفنان لمعارفه على ما يتناوله من صور للطبيعة ،فيرتفع به إلى مثل أعلى تحقيقا لفكرة أو عاطفة يقصد بها التعبير عن الجمال الأكمل تلذيذا للعقل والقلب[2].

---

[1] حسام محسب،ماهية الثقافة في تعريف الرقص الشعبي،مجلة الثقافة الشعبية،البحرين، العدد2 ، سبتمبر2008

[2] المنجد الأبجدي،دار المشرق ،بيروت،لبنان،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ط7،1986،ص772

أما إصطلاحا فتتعدد المفاهيم حوله وتختلف لدى علماء النفس والفلسفة والاجتماع الانتروبولوجيا وغيرها من العلوم نذكر منها:"الفن بصورة عامة نوع من النشاط الإنساني الواعي والهادف الذي يتميز بمقدرة وإمكانية ومهارة رفيعة، والتي يمتلكها الإنسان فتعطيه القدرة على الخلق والإبداع لإنتاج عمل فني مفيد وممتع .وهو دون غيره من نشاطات الإنسان يتميز في كونه يستوعب الواقع الاجتماعي والنفسي بشكل شمولي متكامل وواع وهادف.[1]

أما لفظة الشعبية فهي كل ما اتصل بالشعب إما في شكله أو مضمونه ،وأي ممارسة اتصفت بالشعبية تعني أنها من إنتاج الشعب ،أو أنها ملك للشعب [2]،أما لغة فالشعب هي كل ما تشعب من قبائل العرب والشعب القبائل[3].

الفنون الشعبية بمختلف أشكالها و مكوناتها تشكل جانبا هاما من تاريخ المجتمعات وتراثها الثقافي و الفكري و تفسر عناصر حضارتها و حتى نظمها الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و الروحية و تحدد تصورها و نظرتها إلى الكون والحياة والإنسان،والفنون الشعبية بطبيعتها هي فن حياة الإنسان داخل مجتمعه، والمجتمع هو خلية داخل المجتمع الإنساني.

والفنون الشعبية نابعة من البيئة التي تعيش فيها الجماعة ،وهي تعبير جماعي عن آلامها وأفرحها وآمالها ،وهي أداة مهمة في دراسة تاريخ المجتمعات وإبداعاتها وإنجازاتها وعلاقاتها وتفاعلاتها ،وعاداتها وتقاليدها. كما يعتبر الفن خليط من الفنون النفعية التي تحتاج إليها الجماعة في حياتها اليومية، وجميع القيم الجمالية

[1] إبراهيم الحيدري، اثنولوجيا الفنون التقليدية،دار الحوار للنشر والتوزيع،اللاذقية،سوريا،ط1 ،1984 ، ص11

[2] محمد سعيدي، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1998،ص9

[3] ابن منظور،لسان العرب،ج3،(مادة شعب)

التي تميز العمل الفني الإبداعي ،والتراث العربي غني بالفنون الشعبية في الأدب و الغناء والموسيقى والفنون التشكيلية و الزخرفية والتي تبرز مهارة الفنان الشعبي.

كما تتميز الفنون الشعبية بالبساطة لاعتمادها على الخامات البسيطة المستمدة من البيئة ،فيعبر عنها ببساطة وتلقائية ،ويعبر من خلال أعماله الفنية عن ذوق الجماعة وحاجاتها .كما نرى أن الفن الشعبي يتجه في بعض أعماله إلى الاعتزاز بالبطولات وتمجيدها و اعتبار أبطالها المثل العليا لكل شاب ،وكثيرا ما ترمز الأشكال المختلفة في الفن الشعبي إلى أساطير وطنية أو معتقدات دينية ،وتشير الألوان والأزياء و الرموز إلى معاني نابعة من ثقافة الجماعة.

خلاصة القول فالفنون الشعبية"هي كل ما انتجته الشعوب وتوارثته عبر التاريخ، وتتضمن تلك الفنون:الموسيقى الشعبية،الرقص الشعبي،الألعاب الشعبية،الحرف التقليدية،أدوات العمل الزراعي،المعدات المنزلية"[1]

والتراث الشعبي الجزائري غني بتلك الفنون التي تتنوع وتختلف من منطقة لأخرى وضمن المنطقة الواحدة من الوطن ، وتضم الفنون الشعبية الجزائرية مختلف أنواع الرقص والموسيقى بمختلف طبوعها ،الألعاب الشعبية، الاحتفالات، الأزياء، الفنون الإستعراضية وغيرها من الفنون التي لا يمكن حصرها.

ومن الفنون التي ترافق تظاهرة الوعدة عبر مختلف أنحاء الوطن ، الألعاب الإستعراضية كالفروسية و لعبة العصا وحلقات الرقص الشعبي كرقصة العلاوي

[1] مرسي الصباغ ،دراسات في الثقافة الشعبية،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية،2000، ص 19

و الدارة و النهارية و الألعاب الترفيهية المختلفة و ألعاب الأطفال التي يتعاطاها الرجال ،و بذلك يتم استعراض هذه الفنون الشعبية إلى جانب المظاهر الدينية .

3- 1 - الفـروسيـة:

يرتبط هذا النمط الفني بالفلكلور الشعبي الذي يرتبط أساسا بمكانة الفرس والفارس ضمن الثقافة الشعبية العربية و الشعب الجزائري خاصة،و يعرف هذا الفن بعدة أسماء منها :الفروسية ،لعب الخيل، البَّارْدِيا (نسبة للعب البارود)، القوم و الفانطازيا* و مهما كانت التسميات المتداولة فالفروسية شكلت ولازالت تراثا تاريخيا عبر العصور نظرا لمكانة الفرس أوقات السلم و الحرب وكونه مظهرا من مظاهر الزهو والافتخار.

أ- مكانة الفرس في الثقافة الشعبية :

الفرس لغة هو واحد الخيل ،والجمع أفراس الذكر والأنثى في ذلك سواء،والفارس صاحب الفرس على إرادة النسب . والفرسان :الفوارس، والمصدر :الفَراسة والفروسة ،ولا فعل له[1]

والفرس حيوان أليف حاز على مكانة هامة ضمن التراث الشعبي العربي ، إذ ظل مقياسا للثروة و الجاه بين الأسر البدوية ، الشيء الذي جعل الأسر تتنافس على اقتناء أجودها و إعطائها عناية خاصة لإبرازها في ميدان الفروسية مما يرفع من شأن القبيلة و العائلة و يضفي عليها طابع الفخر و النخوة.

---

* الفانطازيا "Fantasia" وجدت في كل لغات البحر المتوسط منها اليونانية(الإغريقية)،ثم اللاتينية والإسبانية وتعني الخيال والغطرسة والغرور والتباهي،وفي الفرنسية تعني فنون الفروسية التي يقوم بها سكان شمال إفريقيا ،ومنها انتقلت إلى اللهجات المغاربية.

[1] ابن منظور،لسان العرب،ج5 ،ص 109

إن الاهتمام بالفرس يعود إلى مكانته عند العرب قبل و بعد الإسلام نظرا لمكانتها و دورها في الحياة الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية. حظي الفرس باهتمام بالغ عند العرب ،إذ شغلت مكانة هامة في حياتهم الاجتماعية و الأدبية و الاقتصادية، فنظموا أشعارا فيها و تفننوا في وصفها و مدحها بل كان أغلب الشعراء في الجاهلية فرسانا ،فلا يكاد يوجد ديوان للشعر بدون ذكر الفرس فيه ووصفه، وأبرز الشعراء الذين تغنوا بالفرس عنترة بن شداد العبسي، امرؤالقيس، الفرزدق،أبو تمام،وغيرهم إذ كان أغلب الشعراء فرسانا .

هذا وجعلت العرب عشرة ألوان للخيل* أهمها الأدهم و الكُمَيِّت ، وقد ورد وصفها نثرا أكثر مما وردت شعرا،ويعود هذا الاهتمام بالخيل إلى "كون العرب أرباب حروب وغارات، يغيرون أو يغار عليهم ،فلا بد من قرب الخيل منهم لأنها حصونهم الحصينة التي يلجئون إليها،و معاقلهم التي يحتمون بها ،فالفرس عدة الفارس في الحروب والغزوات وحصن حصين له من الأعداء في الغارات لحميتها وغيرتها على فارسها [1]

أما في الإسلام فقد زادت مكانة الفرس إذ ورد ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من آية كقوله تعالى:"والعادياتِ ضَبْحًا، فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا،فَالمُغيرَاتِ صُبْحًا،فأَثَرْنَا بِهِ نَقْعًا"[2] وفيها أقسم الله بالخيل التي تعدو وقوتها ومكانتها في الحروب ، وقوله تعالى:" زُيِّن للنّاس حُبُّ الشَّهوات من النِّساء والبنينَ القناطيرِ المقنْطرَة من الذّهبِ

*الألوان العشرة للخيل عند العرب هي: الدُّهمة(السواد الخالص)،الصُّفرة(صفرة كالذهب)، الصَّدأة(صفرة تضرب إلى سواد)،الوِرْدَة(الحمرة الخالصة لكن الجلد والشعرسوداوان)،الكُمْتَة(حمرة فيها سواد)، ،الوِردة(الأحمر الخالص)،الشَّقرة(حمرة صافية)،الصَنَّابية(ما يخالط لونه شعرة بيضاء) ، الشَّهبة(بياض يغلب عليه السواد)،البَلَق(بياض وسواد)،كما توجد ألوان تتفرع عنها(محمد بن عبد العزيز النجيفي، جريدة الزمان ،العراق ،18جوان 2013)

[1]كامل سلامة الدقس،وصف الخيل في الشعر الجاهلي،دار الكتب الثقافية،الكويت ،1975،ص15

[2] سورة العاديات(الآية1- 3)

والفضّةِ والخَيلِ المُسوَّمة والأنعام والحرثِ ذلك متاع الحياة الدُّنيا والله عنده حسنُ المآب"[1]، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم:" الخيْلُ عُقدت في نواصيها الخير" يقول أيضا"خير الخيل الأَدْهَمُ الأَقْرَحُ الأَرْثَمُ مُحَجَّل سوادُ الثَلاثِ مُطْلَقٌ اليَمِينِ، فإن لم يَكُنْ أَدْهَمٌ فَكُمَيِّتٌ على هذه الشِيَّةِ ".

من خلال العناية التي خصت بها الخيل عند العرب والمسلمين تظل أفضل الحيوانات نظرا لمكانتها الاجتماعية المتمثلة في التبرك بها والتباهي فهي زينة لصاحبها ،أما الاقتصادية فهي وسيلة نقل وسفر وتستخدم في الصيد والسباقات لقوله تعالى:" والخَيلَ والبغالَ والحميرَ لتَرْكَبوها وزينَةً ويخلُقُ ما لا تَعْلَمون" [2]

إضافة إلى تربيتها وبيعها بأسعار مرتفعة،أما مكانتها الثقافية والفنية فتتجلى في مسابقات الفروسية ورقصة الجواد، وعليها يحمل العريس ليلة زفافه، وكل هذه الفضائل ساهمت في حفاظها على مكانة هامة بين الحيوانات الأليفة وضمن الثقافة الشعبية العربية عامة والجزائرية خاصة .

ب ـ طقوس وتقاليد الفروسية :

الفروسية تدل على القوة والشجاعة ،وهي ميدان للتنافس بين الفرسان على إثبات الذات لإظهار قوتهم وبراعتهم ، ولأجل ذلك تقوم الفروسية على تقاليد خاصة عبارة عن قوانين تفرض على ممارسيها شروطا معينة، هي بمثابة تعاليم متوارثة عن الآباء والأجداد ،تتوقف على مواصفات الخيل المخصصة لذلك وتمرس الفارس منذ نعومة أظفاره.

[1] سورة آل عمران(الآية14)
[2] سورة النحل (الآية 8)

1- مواصفات خيول الفروسية:

هناك مجموعة من المواصفات يجب توفرها في هذه الخيول منها:

- أن تكون الفرس حرة أي عزيزة النفس كالتعفف عن أكل علف غيرها .

- صغر السن حتى يسهل ترويضها من طرف صاحبها.

- الهيئة من الخلف (الفَلْكَة) أي اتساع خاصرتها وان تكون عضلاتها مفتولة وذيلها قصير.

- اللون من ألوانها المفضلة عند العرب : الأدهم، الأشقر،الكُمْتَة...

- الهيئة من الأمام أن تكون واسعة الصدر عريضة الركبتين مرفوعة الرأس [1]

2- زينة الفرس:

تلبس الفرس أبهى حلة أثناء تأدية طقوس الفروسية حيث تكتسي حلة مطرزة ومنقوشة بمختلف أنواع الخيوط الذهبية أو الفضية [*] ومن ذلك :

- السرج وهو أهم ما يميز الفرس ويتكون من :

*العْظَمْ:مصنوع من خشب ينتهي بنتوء صغير يسمى "القَرْبوصْ "يشد فيه الفارس أحيانا اللِّجام أو العْمارَة [*] وفي مؤخرته نتوء واسع يسمى "الْقْدَحْ" يتكأ عليه الفارس ويعلق فيه السْماطْ.

[1] رواية المقدم الواسيني قيطوني

[*] ينظرصورة الفارس والفرس (الملحق رقم 03)

[*] العْمَارة هي كيس مصنوع من الصوف مزركش يوضع فيه علف الحصان.

*السُّطارَة: تكون عادة من جلد احمر مصنوع على شكل هيكل العْظَمْ، تكون مطرزة ومزينة بخيوط ذهبية أو فضية وعليها يجلس الفارس.

*الطَّرْحَة: هي مجموعة من السجاد توضع على صهوة الفرس لمنع احتكاكه بالعْظَمْ

*السُّماطْ: عبارة عن كيسين مصنوعين من الصوف مزينان بألوان زاهية ويتدليان على جانبي الفرس يحمل فيهما الفارس أمتعته(البارود).

*اللِّجام: مصنوع من معدن الحديد يوضع في فم الفرس، مربوط بخيط من جلد البقر يتحكم من جلاله في الفرس.

*الحزام: خيط من الجلد يربط السرج إلى بطن الفرس.

*الرُّكَابْ:مصنوعة من المعدن ينتعلها الفارس للصعود على صهوة فرسه.

*الرَّاسْ:عصابة من جلد مطرز بخيوط ذهبية أو فضية توضع على جبهة الفرس و أخرى ما تحجب جزء من عينيه لحمايتها من الغبار و الدخان.[1]

3- زي الفارس:

يرتدي الفارس زيا تقليديا خاصا بفن الفروسية، وهو زي تقليدي يكون موحدا بين أفراد "العلفة" لكنه يختلف من منطقة لأخرى في بعض جزئياته،ويتكون من:

[1] رواية المقدم الواسيني قيطوني

*القندورة العباءة (بيضاء) واسعة من قماش رقيق"la popline" تصل إلى الكعبين مفتوحة من الصدر، وكمان قصيران.

*السروال العربي: سروال فضفاف أبيض، أو سروال واسع في الوسط (ملون ومطرّز في أسفل الساق) وضيق عند الساقين يرتديه الشباب.

*الحْمَايَلْ: خيطان من جلد أحمر مطرزان بخيوط مذهبة يتزين بها الفارس، ينتهي أحدهما بكيس صغير (الغُمد) من نفس الجلد يخصص لوضع المسدس ـ سابقا ـ.

*البَرْنُوصْ: " السَّلْهَامْ "، عبارة عن رداء واسع يغطي جسم الفارس مصنوع من صوف رقيق متعدد الألوان (البني ،الأسود، الأبيض...)و قد يسمى "الخيدوس" "الهَدُّونْ" إذا صنع من الوبر،يتميز بطوله إذ يتدلى على جانبي الفارس،وينتهي من الأعلى بغطاء الرأس يسمى "القلمونة".

*الكْلَاحْ: قماش أبيض(الشّاشْ) رقيق مربوط بطاقية مزينة بقماش العمامة (الصفراء أو البنية) مزينة بخيوط حمراء من الحرير الأسود و الأحمر،يضعها الفارس على رأسه.

*الحذاء: الحذاء العربي الذي يلائم الرّكاب أو الخفّ المصنوع من الجلد المطعّم بخيوط ذهبية، يكون طويلا من الأعلى يمتد إلى غاية الركبة.

*البندقية: "المُكَحْلَة" أو "الفَرْدية" بالتعبير المحلي، تتكون من ماسورة طويلة بفتحة واحدة، مرصعة بالفضة، إضافة إلى عدة البارود التي يحملها معه.

*القميص: من قماش خفيف، عبارة عن عباءة صغيرة تحت القندورة، ذات عنق مرتفع و كمين طولين.[1]

- المُقَدَّم:

المقدم أو قائد "العلفة" فهو الفارس الذي توكل له مهمة التسيير و القيادة داخل مجموعته، إذ يتميز بكونه الأكثر اتقانا لمهارات هذا الفن لأقدميته في الممارسة و تميزه باليقظة و الانتباه و الصوت الحسن وتحكمه في عناصر "العلفة" كما يتميز بزيه المختلف عن البقية ببرنوصه الخاص[2].

و في غالب الأحيان أثناء استعراضه لمشهد العلفة يكون واقفا على "الرِّكاب" ليتحكم في التسيير و إصدار الأوامر لكل فارس و بذلك تكون علاقته بالفرسان علاقة توجيه و تنظيم.

4- وصف المشهد النهائي للفروسية:

بعد دخول العلفة إلى الميدان (الطَّحْطَاحَة) يتم تبادل التحية بين الفرسان و تصطف جميع الفرق المشاركة استعدادا للدخول بعد أن تكون البنادق محشوة جيّدا بالبارود، وبذلك تبدأ الاستعراض أو ما يعرف بالْهَدَّة أو الخرجة الرسمية

[1] رواية المقدم الشيخ الواسيني

[2] يرتدي المقدم زيا خاصا يميزه عن باقي أعضاء العلفة أو بلون برنوصه المخالف مما يعطيه صفة القيادة والتوجيه .

ـ الهدة (الخرجة الرسمية):

يخرج المقدم أولا إلى نقطة الانطلاق ثم يلتحق به أعضاء العلفة ويصطفون في صف واحد، و بالقرب منه الفرسان الأكثر أقدمية، فيقوم بمراقبة موكبه ثم تشرع الخيول في التحرك ببطء مرددا "الصلاة على النبي"، فيبدؤون بالمشي جماعة في منتهى التنظيم ثم يقول "طالْعين" إيذانا ببداية المنافسة فيحملون البنادق و يهيئونها ثم يعلن "الحَافَظْ الله، يالْوُلَادْ المْكَاحَلْ"، وهي عبارة تدل على الاستعداد لاستعمال البنادق و هنا توضع على أكتافهم اليمنى،ثم يقول "قَعْدُوا الخَيْلْ، أرْفَدْ وَ بَيَّنْ" وهنا تركض الخيل بسرعتها و خلال هذه المرحلة يحاول الفرسان الحفاظ على توازيهم وضع البنادق على صدورهم، ثم يقوم كل فارس بوضع سبّابته على الزناد منتظرا الإشارة الصوتية للمقدم، بحرف أو كلمة (آه) فيتم إطلاق البارود طلقة واحدة و جماعية ، و في حالة تأخر أحدهم فلا يفعل حتى لا يشوش على أعضاء فرقته ،و مباشرة بعد دوِّي البارود تنطلق زغاريد النساء مدوية و يردد المشاهدون عبارات التشجيع و الإعجاب مثلا "الله يعطيكم الصحة" و بعد إنهاء الفرقة لاستعراضها تخرج من الميدان للاستراحة فاسحة المجال للفرقة الموالية لاستعراض فنها و مدى تمرسها و يستمر الاحتفال على هذا الشكل إلى غاية نهاية التظاهرة.

في هذه التظاهرة تنوع مستويات الاستعراض و درجة تعقيدها حسب المناطق المشاركة و حسب مهارة و خبرة الخيّالة ، و تستمر هذه المنافسات على هذا المنوال إلى غاية انتهاء التظاهرة. [1]

- رمزية طقوس الفروسية:

إن المتتبع لفن الفروسية يرى أنه ليس طقسا إحتفاليا فرجويا فقط بل تتجلى رمزيتها في كونها رمزا حضاريا و تراثيا يميز الذاكرة الثقافية الجزائرية والعربية عموما،إذ ترتبط في العمق بحب الحصان كحيوان أليف لنخوته وزهوة العربي ،و بالخير والأرض المعطاء والماضي القديم حين شارك الفرس إلى جانب الإنسان في حياته اليومية و في حروبه ضد الغزاة و العدوان، و ثابتا فرجويا في الاحتفالات و الأعياد الكبرى كحفلات الزواج و الأعياد الدينية والمواسم الثقافية.

كما تعتبر الفروسية استحضارا لملاحم الأمة العسكرية والتاريخية و رمزا للقوة و الشجاعة و الرجولة و الأقدام التي ميزت المقاومة الشعبية في الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي كمقاومة الأمير عبد القادر و أحمد باي و غيرها.

أما رمزيتها الاجتماعية والفنية فتتمثل في مكانة الفرس و الفروسية في الثقافة الشعبية مما يجعل الفرس شرفا و فخرا لصاحبه و للقبيلة من خلال تمرس فرسانها و تقديم أجمل العروض.

[1] رواية المقدم وإبنه عن المنافسة

أما الفنية فتتجلى في تلك الأزياء الأصيلة التي يرتديها الفارس و فرسه ذات الدلالات المتعددة و المرتبطة بفنون الأزياء و اللباس الدالة على عراقة الفنون الحرفية التقليدية النابعة من العربية الاسلامية كم أن الألوان تتماشى مع البيئة ، إذ تميل في مجملها إلى الألوان الفاتحة (الأبيض،الأصفر الفاتح) ذات الأبعاد الجمالية فهي تعطي صاحبها الإحساس بالنظافة وصفاء السريرة، أما الدينية فالأبيض فهو لون أهل التقوى والورع (لباس الصلاة،لباس الحج،الكفن)لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "البسوا من ثيابكم البياض فإنه خير ثيابكم و كفنوا فيها موتاكم "[1].

كما تتميز الخامات التي تصنع منها بالبساطة و ملائمتها للظروف المناخية ورخص ثمنها ونعومتها ونظافتها ،أما اللون الأسود فيخص الحذاء أو الخف فقط،كما تعتبر العمامة (الكْلاح)شرف الرجل وغيرتة العربية والإسلامية لأنها سُنّة الرسول صلى الله عليه وسلم .

إذن الفروسية بما تحمله من طقوس احتفالية جذابة و استعراضات فنية جميلة ودلالات رمزية عميقة تشكل تراثا مرتبطا بالمخيال الشعبي تهفو إليه القلوب وتحبه الأنفس وتعشقه الأعين بما توحيه في النفس من مظاهر البهجة والترفيه والتاريخ التليد والبطولات الضاربة في عمق الذاكرة و الهوية الوطنية.

[1] رواه أبو داوود في سننه 4 /74عن ابن عباس رضي الله عنهما

2-3 - الرقص الشعبي:

الرقص لغة تعني تنقل ومشى بتفكك وخلاعة[1]،أما اصطلاحا فهو تعبير الجسد من خلال الإيحاءات والإيماءات ،تتعدد موضوعاته والأفكار التي يترجمها،قد تكون اجتماعية وطنية حربية دينية وبالتالي لا يكون دائما مرادفا للخلاعة واللهو، وتختلف أنواع الرقص تبعا للبيئة التي نشأ منها ،فمنه رقص نساء ورقص رجال ورقص حضري ورقص بدوي،كما يوجد رقص مرتبط بالمناسبات الدينية أو الدورية(الزواج ،النجاح ،الختان...).

يعد الرقص واحدا من الفنون التي رافقت حياة الإنسان و المجتمعات البشرية،فهو "أقدم ما قام به الانسان القديم من فنون ،قدمت له فرصة للتنفيس عن الذلات والتوتر الداخلي والروحي والنفسي عن الرغبات والعواطف المكبوتة من فرح ومرح وألم من خلال توظيف الجسد".[2] وقد عرفت كل المجتمعات البشرية التقليدية فن الرقص في كثير من المناسبات والمراسيم الاجتماعية والدينية ،كما يرتبط الرقص بالتعامل الديني والسحري ويلغب دورا أساسيا في العقائد والطقوس ،فنجده في احتفالات الربيع ومناسبات الزرع والحصاد واحتفالات الولادة والختان والزواج وحتى في المناسبات الدينية[3].

إذ يرتبط بواقع الجماعات ، فهو صرخة فنية نابعة من آلامها و آمالها تناقلتها الأجيال و مارستها في المناسبات خاصة الدينية و الدنيوية(أعياد وطنية،مولود جديد ،نجاح...)،وبذلك تختلف الرقصات الشعبية حسب مناسباتها و طريقة تأديتها ولباسها وأفراد الفرقة التي تؤديها والآلات وحتى الموسيقى والغناء المرافق لها .

---

[1] المنجد الأبجدي،ص495

[2] إبراهيم الحيدري،مرجع سابق ، ص83

[3] نفس المرجع،نفس الصفحة

و الرقص يتعلم من قبل الأفراد كلما يكبرون في المجتمع بالتوارث وهو عنصر مكمل لنشاطات الجماعة،وكل رقصة هي شكل حي يتفاعل مع متطلبات الجماعة الشعبية،وهو مرتبط أحيانا بمناسبات محددة وبالتالي يحتمل أن يرتبط بمجموعات من الناس[1].

إذن فالرقص الشعبي هو أداة ووسيلة تعبر بالحركة عما يجول بالذاكرة الجماعية عن أحداث تجسد ملحمات وبطولات عسكرية، وهو فن متوارث جيلا عن جيل يتفاعل مع تطلعات الجماعة الشعبية ،يمارس أمام المتفرج ،كما أنه متاح للجميع في الجماعة البشرية ،ويقسم حسب العادات والتقاليد إلى رقص رجال ورقص نساء أو رقص مشترك .

والرقص الشعبي بما يحتويه من حركات وإيقاعات وأزياء "يهدف إلى عرض وتوضيح فكرة معينة والوصول إلى غاية معينة،وفي أغلب المجتمعات الرقص ليس ترفا ومتعة فحسب بقدر ما هو خلق علاقة صادقة مع العالم ومع الآخرين، كما يعبر عن حاجات وتطلعات الجماعة ورغباتها ".[2]

وخلال نشأة الرقص بدأت الموسيقى مما ساعد على تنوع أشكاله وأساليبه وإيقاعاته التي تحدث نوعا من الأصوات و حركات الجسم أو الضربات على الآلات الموسيقة ،ومع تطور الفنين تطور الغناء،والموسيقى في المجتمعات التقليدية هي أكثر من فن فهي تقوم بدور إجتماعي وطقوسي ،ولا يكون لها معنى

[1] دائرة المعارف الالكترونية ميكروسوفت"إنكرتا "قسم الرقص

[2] إبراهيم الحيدري،المرجع السابق،ص84

إذا لم تكن واقعية أي إذا لم تكن نابعة من الواقع الاجتماعي ،وهذا الواقع نابع من علاقة الفنان والمستمع أو المشارك [1].

ـ الرقص الشعبي في الوعدة:

بالنظر إلى الرقص الشعبي الجزائري فانه يتمتع بالتنوع و الاختلاف في الأداء والأزياء بين ربوع القطر بل ضمن المنطقة الواحدة، وذلك ما يزيد في إثراء التراث الشعبي، و أهم الرقصات الشعبية المعروفة و المتداولة في المناسبات المختلفة رقصة العلاوي، العبداوي،النايلي، العرفة، القرقابو،القبائلي،الطوارق، رقص الجواد،الصف، ...وغيرها من الرقصات التي تكاد كل واحدة منها تميز منطقة بذاتها،كرقصة العلاوي و الدارة والعرفة والحيدوس والصف التي تميز المنطقة الشمالية الغربية من الجزائر،أما الرقصات الشعبية المرافقة للوعدة (موضوع البحث) فهي العلاوي والدارة.

أ- رقصة العلاوي :

تعد رقصة العلاوي من أهم و أشهر الرقصات الشعبية في الجزائر عامة والغرب الجزائري خاصة منها معسكر، سيدي بلعباس، غيليزان، عين تموشنت، البيض، تلمسان (سبدو خاصة).

تمارس هذه الرقصة في العديد من المناسبات الاحتفالية كالزواج، الاحتفالات الوطنية، و المواسم الدينية (الوعدة) و من خلال تتبع طقوسها كالزي و الحركات المنتظمة فإنها رقصة حربية كانت تؤدى عقب الانتصارات أو في بداياتها لبعث

[1] نفس المرجع،ص86 - 87

الحماس في الثوار و المجاهدين وبعد الانتصارات، إذ يؤديها الرجال دون النساء، حاملين السلاح أي البنادق لكن بعد تجريد المستعمر للأهالي من السلاح عوضها بالعصي لأنها سلاح الرجل الذي يذود به عن حماه ،ولأن الراقص الشعبي يمثل المحارب في ساحة المعركة ،و تؤدي هذه الرقصة جماعة في زي واحد و في منتهى التنظيم.

ـ طقوس الرقصة:

تتوقف طقوس الرقصة على الفرقة والآلات الموسيقية المرافقة والراقصين المتمرسين في زيهم الخاص:

*فرقة العازفين (الفرقة الموسيقية):

تضم عادة خمسة عازفين ثلاثة يضربون على آلة البندير (الدف) و اثنان يعزفون على آلة القصبة (الناي) القصيرة ،ويلبسون نفس زي الراقصين عادة.

*فرقة الراقصين:

تؤديها مجموعة مكونة من سبعة إلى تسعة أعضاء في الميدان أمام الجمهور في شكل خط مستقيم ،يقودهم القائد.

*زي الراقصين:

يشبه إلى حد قريب زي الفرسان، يتكون من القندورة، القميص، السروال العربي، الحْمَايَل تنتهي على الجانب الأيسر بكيس (الغُمْد) من الجلد المطرز لوضع المسدس و على الجانب الأيمن بحقيبة مربعة الشكل من الجلد المطرز

(التهليل) لحفظ النقود و الوثائق، و تضاف إلى هذا الزي العمامة. و هي قماش طويل يتراوح بين المتر و ثلاثة أمتار يغطي بها الرأس تكون بألوان مختلفة حسب المناطق المشاركة (بيضاء،صفراء،بنية)غير أن الشائعة في المنطقة هي الصفراء.

* الآلات الموسيقية:

يعتمد رقص العلاوي على عدة وسائل موسيقية منها :

ـ القصبة: هي آلة نفخية تشبه الناي، تصنع من قصب طبيعي ينمو في الأودية والأماكن الرطبة يتراوح طولها بين 50 سم 70 سم،ففي رقصة العلاوي تكون قصيرة تحدث بها ثلاثة ثقوب فتحدث لحنا خفيفا والرقصة ذات إيقاع سريع.

ـ البندير: هوآلة إيقاعية نقرية عبارة عن إطار خشبي دائري مغطى من جهة واحدة بجلد الماعز الرقيق المدبوغ بطريقة تقليدية من مواد محلية (الملح والشب) يثبت بغراء مصنوع من دقيق القمح اللين والبيض ويشد بخيوط مشمعة متينة،أما سابقا فكانت الخيوط من أمعاء الماعز أو الخروف الدقيقة،كما توضع فيه خيوط من العقيق لإحداث الرنين ،وقد يستعاض عن البندير أحيانا بالقَلَّال* .

* القلال نوع من الآلات النقرية عبارة عن اسطوانة طويلة كانت تصنع من نبات الصبّار المجوف أما اليوم فيصنع من الفخار،يتميز بصوته القوي والمدوي يشبه آلة الدربوكة.

ـ وصف مشهد الرقصة:

بعد دخول الفرقة الموسيقية [*] وتحيتها للجمهور تدخل فرقة الرقص في صف واحد وبعد الاستماع إلى اللحن يقوم قائدهم بحركة معينة إيذانا ببداية الرقص ،تؤدى هذه الرقصة بهز الكتفين يمينا وشمالا وتناسقها مع ضربات الأرجل في خط مستقيم أو نصف دائرة أو دائرة،وتكون في صورة تقدم وتراجع في منتهى التنسيق و التنظيم ، وتتفاوت الفرق المشاركة في درجة إتقانها لهذا الفن من منطقة إلى أخرى وضمن المنطقة الواحدة غير أن المشهورة في المنطقة هي رقصة"أولاد نهار" [*]،ومن أهم مقاطع هذه الرقصة المؤداة في أغلب المناسبات: السبايسية،العريشة، عريشة خمسة،ترينقة ...

ـ سبايسية : ثلاث ضربات متتالية بالرجل اليمنى .

ـ عريشة: ثلاث ضربات متقطعة ومتأنية برجل واحدة

ـ عريشة خمسة:خمس ضربات متفرقة برجل واحدة متأنية.

ـ ترينقة:فيها يجمع بين سبايسية وعريشة خمسة

ـ شيبانية: ثلاث ضربات متتالية تليها ثلاثة متفرقة بكل رجل (اليمنى ثم اليسرى) وتنتهي بثلاث قطعات وبها تختتم الرقصة.[1]

---

[*] الفرقة الموسيقية تسمى الشْيُوخْ بالتعبير المحلي.

[*] " النهارية" تنسب لعرش أولاد نهار (وهي القبائل المكونة لمنطقة سبدو)الواقعة جنوب تلمسان، وهي رقصة العلاوي ،تتميز بالإتقان المتميز هذه الرقصة والأشكال و الألوان المتعددة لهذه الرقصة.

[1] محمد بوترفاس، الرقص الشعبي ـ أنواعه وخصائصه ـ منطقة أولاد نهار أنموذجا،رسالة ماجستير ، جامعة تلمسان ،2006 -2007 ،ص80 -82

ب ـ رقصة الدارة:

هي رقصة تشبه رقصة العلاوي تنتشر في الغرب الجزائري خاصة نواحي تلمسان ، وهي رقصة حربية تؤديها فرقة عسكرية تتخذ زيا موحدا يتكون من العباءة والسروال العربي والعمامة*و البرنوص القصير والحذاء العربي تحت إمرة القائد،وتتميز هذه الرقصة بالانضباط والتنويع والتغيير في الحركات.

تبدأ الرقصة بدخول الفرقة في خط مستقيم يتقدمهم القائد ويتبعهم العازفون بعد تحية الجمهور ، وبعد تراجع العازفين تبدأ الرقصة في شكل دائرة بزي الفرسان محملين بسلاح"الفردية" أو العصا أحيانا ، بالدوران مع القيام بحركات بطيئة ومتناسقة من خلال هز الكتفين والزحف بالأرجل بتأني، وتتم على وقع البندير والقصبة الطويلة* ،وفيها يضع البندقية على كتفه أو يرميها إلى الأعلى أو الأسفل أو تدويرها فوق رأسه ،أو يشهرها في وجه عدوه حسب ما يأمر به القائد،وقد يتخللها إطلاق البارود بطلقة واحدة في منتهى الدقة والإنسجام.[1]

إلى جانب الفرق المتمرسة تشارك فرق أخرى هاوية أو شبه محترفة تزاول هذا النوع من الرقص على هامش الاحتفالات حيث يدفع كل هاو مبلغا من المال للعازفين لقاء تأدية الرقصة أو لأحد أعضاء الفرقة مقابل إمتاع الجمهور برقصاته.

---

* العمامة قطعة من قماش خفيف مختلفة الألوان الشائع منها الأبيض والأصفر يبلغ طولها ما بين 3 و4 أمتار،وللعمامة رمزية كبيرة فهي سنة الرسول "ص"،وهي شرف الرجل وغيرته العربية والإسلامية.

* القصبة الطويلة يبلغ طولها 70 سنتمتر،بها خمسة أو ستة ثقوب.

[1] محمد بوترفاس،المرجع نفسه،ص23

- رمزية الرقص الشعبي :

إن المتتبع لمشاهد الرقص الشعبي الجزائري على اختلافه يلاحظ أنه تعبير فني وإبداع نابع من ثقافة المجتمع ،يعبر عن تاريخه و نضاله الطويل في وجه الغزاة و المستعمر ،فلباس الراقص و هيئته و عدته دليل على أنه فارس في ساحة الحرب ،و حركاته تعبر عن استعداده للهجوم .و لباسه المحتشم الأصيل كل ذلك دلالة على اكتمال الرجولة والشجاعة في لحظات الانتصار والفرح والاستعداد للحرب ، كما أن الأزياء المتنوعة نابعة من بيئته وثقافته العربية والإسلامية، فالعربي المسلم يتميز في لباسه بالبساطة وفي مجملها هي لباس المحارب في ساحة الحرب المستعد للمواجهة ،أما ألوانه فتميل إلى الأبيض لون الصفاء والطهارة والسلام،والتقوى .

إذن تشكل هذه الفنون الشعبية المتنوعة تشكل الذاكرة الجماعية وتراث المجتمع إذ تجمع بين تاريخ البطولات و الانتصارات أيام المقاومة الشعبية وبين جماليات الأزياء و الموسيقى النابعة من تاريخ وأصالة المجتمع الجزائري.

3- 3/الألعاب الشعبية:

1- المفهوم والخصائص:

أ- المفهوم:

لَعِبَ:اللَّعِبُ واللَّعَبُ:ضد الجِّد[1] ، و في معاجم اللغة يفيد اللهو . أما اصطلاحا:فهو كل نشاط يمارسه الطفل دون أية ضغوط عليه من البيئة المحيطة به والمتمثلة في بيئته العائلية والاجتماعية ،كما أنه كل نشاط يتم دون أدنى اعتبار للنتائج التي قد تنتج عنه .

[1]:إبن منظور،لسان العرب ،ج5 ،ص ص:501-502

واللعب قبل كل شيء هو ظاهرة فطرية وغريزية عند كل المخلوقات وعند الإنسان خاصة،"وهي أول صورة للنشاط الإنساني في الطفولة فهي صدى لانفعال الكائن البشري ومعرض اللذة والفرح وهي مرآة الطفولة وانعكاس لصور الحياة" [1]

واللعب الشعبي أو التقليدي له عدة مفاهيم معظمها وردت عند علماء النفس المهتمين بالطفل نذكر البعض منها ،"هو كل لعبة يمارسها العامة من المهد إلى اللحد ويتوارثها جيل بعد جيل ويغيرون منها أو يحرفون، والألعاب الشعبية يستوي في ممارستها جنس النساء والرجال منذ الطفولة"[2] ،وهو"نشاط نابع من ثقافة المجتمع ، إذ ينفرد كل مجتمع وثقافة بمجموعة من الألعاب الشعبية لألعاب الضاربة في الزمن و العراقة ، تناقلتها الأجيال عبر العصور ،وعبر هذه الألعاب تنتقل عدة خصائص ثقافية وحضارية مراعية بذلك العادات والتقاليد".

فلقد مارس الإنسان القديم الألعاب فطريا وأحكم توظيفها لتكون واحدة من أدوات الترويح عن النفس والتسلية ،والألعاب الشعبية لا تقوم على أسس جدية صارمة، وهي نشاط بدني وحركي وذهني مستمد من البيئة المحيطة ،له جذور تراثية نابعة من ذات الفرد ،تحقق لذة الممارس ومتعة المشاهد. كما تعتمد الألعاب الشعبية في مجملها على الحوار من خلال مجموعة من التعابير والرموز والطقوس .

[1] محمد عادل خطاب،الألعاب الريفية الشعبية،الانجلو مصرية ،القاهرة،1964 ،ص31

[2] أحمد رشدي صالح،الألعاب الشعبية والمهارات الجسمية والسيرك، لعدد 24 يوليو1988، مجلة الفنون الشعبية،الهيئة المصرية للكتاب،القاهرة ،ص74

والألعاب الشعبية نابعة من ثقافة المجتمع والتي توارثتها الأجيال على مر العصور،وعبرها تنتقل الخصائص الثقافية والحضارية النابعة من عاداتها وتقاليدها ،حيث تبرز تلك الألعاب نماذج حياة الجماعة ونظامها الاجتماعي ، وهي صورة لحياة الإنسان في طفولته وبيئته.

وعلى هذا الأساس تتنوع الألعاب وتتعدد حسب عدد المشاركين فيها أو المناسبات التي تؤدى فيها وطرق لعبها ،فهناك ألعاب فردية وأخرى جماعية،وهناك العاب التسلية والتفكير والاستعراضية ،وألعاب الكبار والصغار والذكور والإناث.

ب ـ الخصائص:

تتميز الألعاب الشعبية عموما بمجموعة من الخصائص منها:

- اعتمادها على الرشاقة الحركة وسرعة تبديل المراكز.
- الاستعراض اللطيف والبداهة .
- التنوع في أشكالها وأنماطها حسب مختلف الأعمار والجنس (كبار،صغار،ذكور،إناث).
- تمارس بصورة جماعية، وفي ضواحي المنازل والساحات العامة ولا تحتاج إلى الملاعب الخاصة.
- قوانينها بسيطة تستمد من البيئة ،وأدواتها غير مكلفة نابعة من الطبيعة المحيطة بالإنسان .
- ليست لها محفزات مادية بل دافعها التسلية ، وتمارس بحرية مطلقة ومتاحة للجميع من جميع الشرائح والطبقات .
- تعتبر من أهم الوسائل الترفيهية في المناطق الريفية.

- تتميز بالعراقة والقدم لارتباطها بتراث الأجداد.

جـ ـ أهمية الألعاب الشعبية :

حسب الدراسات التي قام بها علماء النفس ،وعلماء الاجتماع فإن الألعاب الشعبية ليست مجرد وسائل ترفيه بل تتعدى ذلك، فهي جزء لا يتجزأ من ثقافة المجتمع وهويته ،ذلك أن ثقافة اللعب مرتبطة بحياة المجتمعات ونشاط الإنسان وممارساته اليومية و بطقوسه وعاداته ،وبذلك تكتسي الألعاب الشعبية أهمية كبرى تتجلى في وظائفها النفسية والتربوية و الصحية والثقافية نذكر منها:

- تساهم الألعاب الشعبية في تربية الطفل والفرد في سلوكه وتنمية قدراته الفكرية وشخصيته بعيدا عن الأنانية وحب الذات من خلال تشبثه بالجماعة وتعلمه قيم التعاون و احترام الغير وتقبل الخسارة وتبادل الأدوار واحترام حقوق الآخرين .
- إكتساب الثقة في النفس من خلال تعلم كيفية حل المشاكل وتعلم التركيز والانتباه وسرعة البديهة وتبادل الأفكار والمهارات الجديدة من الغير.
- نقل تجارب وخبرات الأجداد والآباء وبالتالي حفظ تراثهم وقيم وتقاليد المجتمع ونقله للأجيال القادمة.
- تعليم الأطفال القدرة على التواصل مع الغير وتنمية الملكة اللغوية.
- تعلم الابتكار و الاقتصاد دون تكلف في تحقيق المتعة والتسلية.
- تحقيق التوازن النفسي والعقلي باعتبار وظيفتها الترفيهية تساهم في التخفيف من الضغوطات اليومية .

إذن فالألعاب ليست حكرا على الطفل ،بل هناك ألعابا خاصة بالكبار من الذكور والإناث تحقق نوعا من التسلية والمتعة والتشارك وبذلك تكون متنفسا إلى جانب

الألعاب الترفيهية هناك أخرى رياضية تساهم في بناء اللياقة البدنية والعقلية للطفل والرجل، كألعاب الجري وسباق الخيل والإبل والمبارزة وتسلق النخيل والعصا وغيرها من الأنماط ،كما توجد ألعاب الذكاء التي تدرب على التفكير وحل المسائل الصعبة كلعبة الشطرنج التقليدية (الضامَّة)،لعبة الألغاز الشعبية الأحجيات،وهناك من تعتمد على الغناء الشعبي وأغاني الأطفال .

2 ـ الألعاب الشعبية في الجزائر:

تتمتع كل أمة بثقافتها الخاصة وانطلاقا منها تتكون باقي العناصر التي تتفاعل فيما بينها لتصنع خصوصيتها الثقافية ،ونظرا لاتساع مساحة الجزائر وتباين بيئاتها وسكانها تتنوع مظاهرها التراثية منها الألعاب الشعبية التي تتميز بالتنوع والاختلاف من منطقة لأخرى وضمن المنطقة الواحدة التي لا يمكن حصرها وجمعها ،غير أن منها الذائعة الصيت والمنتشرة عبر ربوع البلاد ،على سبيل الذكر: ألعاب الاستعراضات كلعبة العصا والفروسية التقليدية(الفانطازيا) وتسلق النخيل وسباق الجمال في الجنوب ،وألعاب الذكاء مثلا لعبة الحفرة(القُرْشْ)، الضامَّة* ، الألغاز الشعبية ،الأحجيات....،وألعاب المتعة والسَّمر كالبوقالات، لعبة الأحجار(قَرَّدْ)* ، سيق،لعبة العرائس التقليدية ، كما أن هناك ألعابا خاصة

* الضامة هي لعبة تقليدية تشبه الشطرنج تلعب بالحجارة يلعبها متنافسان.

* قَرَّدْ(الحُصَّيَات):هي لعبة تقليدية عادة ما تمارسها الفتيات تتكون من خمسة حصيات، تتميز بالتركيزوالانتباه.

بالإناث و أخرى خاصة بالذكور،ومنها ما هي منتشرة في الريف و أخرى في المدينة.

إن الألعاب الشعبية في الجزائر متنوعة إلى درجة لا يمكن جمعها ضمن المنطقة الواحدة لتعدد ألوانها وصعوبة تبويبها وجمعها وتصنيفها، ومن أبرز الألعاب الشعبية التي تنال اهتمام الشباب في يومنا هذا لعبة العصا (المطرق) التي

تمارس في أغلب احتفالات الوعدات والمناسبات الرياضية في الغرب الجزائري،والتي ترافق كذلك تظاهرة وعدة "سيدي امحمد الواسيني" بمغنية ،وبذلك تشكل الألعاب الشعبية مظهرا آخر من مظاهر الفرجة والمتعة المرافقة لألعاب الفروسية والرقص الشعبي.

أ- لعبة العصا (المطرق):

- مكانة العصا في الثقافة الشعبية:

ترتبط اللعبة بالعصا، وهي وسيلة الإنسان قديما وحديثا، لها مكانة خاصة في المجتمعات العربية والإسلامية، نظرا لاستعمالاتها المختلفة كونها سلاح دفاعي وهجومي لا يمكن الاستغناء عنه لمن يعرف استعمالها.

لقد ارتبطت العصا بمعظم الأنبياء والرسل وورد ذكرها في القرآن الكريم في عدة مواضع خاصة مع سيدنا موسى عليه السلام لقوله تعالى:"قَالَ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى،قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآَرِبُ أُخْرَى"[1]،و قوله تعالى:"فَأَوْحَيْنَا إلى مُوَسى أَن اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ فَانْفَلَقَ،

[1]سورة طه (الآية17 - 18)

فَكَانَ كُلُّ فِرق كَالطَّوْدِ العَظِيم"[1]،و ورد ذكرها مع قصة سيدنا داوود عليه السلام. وفي السيرة النبوية كان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يمتهن حرفة الرعي فأستحسن حملها ونوه بفوائدها، وهو أول من استعملها في صلاة الجمعة ثم عمل صحابته بسنته من بعده رضي الله عنهم .

وإذا تصفحنا سيرة الصحابة وتاريخ العرب نجد للعصا مكانة خاصة انطلاقا من وظائفها،وفي هذا المقام نورد واقعة حدثت للحجاج بن يوسف الثقفي دونها أحمد الهاشمي في كتابه جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب: "لقي الحجاج أعرابيا فقال من أين أقبلت ،قال من البادية،قال: ما بيدك ،قال :عصا أركزها لصلاتي وأُعدّها لعُداتي وأسوق بها دابتي وأقوى بها على سفري واعتمد عليها في مشيي ليتسع بها خطوي و أعبر بها النهر فتؤمنني وألقي عليها كسائي فيسترني من الحر ويقيني من القر وتدني ما بعد مني ،وهي محمل سفرتي وعلاقة إداوتي،ومِشجب ثيابي أعتمد بها عند الضراب و أقرع بها الأبواب واتقي بها عقور الكلاب ،تنوب عن الرمح في الطعان وعن الحربة عند منازلة الأقران ورثتها عن أبي وأورثها بعدي إبني و أهش بها على غنمي ولي فيها مآرب، أخرى كثيرة لا تحصى"[2]

ـ تاريخ لعبة العصا (المَطْرَقْ)في الجزائر:

في 27 نوفمبر 1832 اجتمع زعماء القبائل والعلماء في سهل "غريس" قرب معسكر وعقدوا البيعة الأولى لعبد القادر بن محي الدين تحت شجرة الدَّرْدَارْ،

[1] سورة الشعراء(الآية 63)

[2] أحمد الهاشمي،جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب،ج 1،منشورات مؤسسة المعارف، بيروت ،ص369

وأطلق عليه لقب ناصر الدين ، ثم تلتها البيعة العامة في 4 فبراير 1833 ،عندها أدرك الأمير أن المواجهة مع المستعمر لا تتم إلا بتكوين جيش نظامي مواظب تحت نفقة الدولة لذلك أصدر بلاغا إلى المواطنين باسمه يطلب تجنيد الجنود وتنظيم العساكر في البلاد فاستجابت له قبائل المنطقة الغربية والوسطى، فالتف الجميع حوله بالطاعة مستعملا العصا كوسيلة لتدريب الجنود في المرحلة الأولى تحضيرا للمبارزة بالسيف، وبذلك ظهرت لعبة العصا(المَطْرَقْ) في المناطق المذكورة[1] وأصبحت تمارس على هذا الشكل الاستعراضي في مناسبات الوعدات والاحتفالات والمنافسات الرياضية التقليدية إلى غاية إنشاء الاتحادية الجزائرية للألعاب والرياضات التقليدية سنة 1992 من أجل تعميم مثل هذه الرياضات عبر أنحاء الوطن.

*** طقوس وقوانين اللعبة:**

أصبحت اللعبة في أيامنا هذه رياضة قائمة بذاتها ،لها قوانينها الخاصة لذلك نلاحظ بعض الإضافات على هذه اللعبة القتالية:

ـ الزي: لهذه اللعبة زي خاص بها وهو زي يتكون عادة من سروال طويل واسع نوعا ما وقميص واسع بكم قصير أو طويل الأكمام ،فأثناء التمارين يكون لباس موحدا باللون الأسود لاتقاء الأوساخ ،أما أثناء المنازلات أو المبارزة فلكل تلميذ (القَنْدُوز)* لونه الخاص،وبالنسبة للحكم يكون زيه أبيض .

[1] رواية نور الدين بطيور ،مدرب فن العصا ،رابطة العصي ،مديرية الشبيبة والرياضة لولاية وهران، وكل الشيوخ المزاولين لهذه الرياضة من معسكر وعين تموشنت ووهران وغيرها .

* القندوز بالتعبير المحلي هو تلميذ متعلم في الكتاتيب أو الصبي المتعلم .

ـ التلميذ(القَنْدُوزْ):يكون سنه 16 سنة فما فوق حتى يشتد ساعده ويستطيع حمل العصا ،أما أثناء المنازلة فيجب أن يكون كل تلميذ متمرسا في اللعب ويكون منافسه من نفس مستواه .

ـ تتكون اللعبة من عدة درجات تبدأ بالأبيض، الأصفر، الأخضر، البني، الأحمر، الأسود.وهي ألوان الأحزمة التي يتحصل عيها التلميذ أثناء التدريب على العصا، واللون الأسود هو أعلى درجة.

ـ تتكون اللعبة من حكم رئيسي وثلاثة مساعدين، وتتم اللعبة فوق مربع طول ضلعه 6 أمتار .

ـ العتاد: تعتمد على العصي(المطرق)من نفس الطول(110 –115 سم)،ومن نفس السمك حيث تبدأ المنافسة بعصا سميكة لكل تلميذ ،وفي المنازلة الموالية تتم بعصيان لكل منهما ، وتنتهي بعصا خشنة لكل تلميذ.

ـ مدة المنازلة 8 دقائق مقسمة على ثلاث جولات تدوم كل جولة مدة دقيقتين مع دقيقة راحة بين الجولات.

ـ كل أماكن الجسم المستهدفة مسموح بها ماعدا اليدين(الكوعين والمرفقين).

***وصف مشهد اللعبة(المنازلة):**

تبدأ المنازلة بدخول المتنافسين إلى الحلبة بتحية الجمهور بالإشارة بالعصا نحو الأعلى (شاقوليا)، ثم تحية الحكم ثم المتنافسين لبعضهما البعض،وخلال المبارزة

تتفاوت الحركات الدفاعية والهجومية بين الطرفين حسب المناطق المستهدفة من الجسم ،ولكل منطقة مستهدفة من الجسم نقطة واحدة ما عدا الرأس فنقطتان .

إن المتتبع لشروط وقوانين اللعبة يستنتج انها لعبة قتالية تبرز فنون المبارزة بالسيف التي كانت سابقا السمة المميزة لتدريبات الفرسان أيام المقاومات الشعبية.[1]

أصبحت هذه الرياضة في أيامنا هذه قائمة بذاتها، لها قوانينها الخاصة كغيرها من الفنون القتالية المعروفة محليا ودوليا كما أصبحت ضمن الرياضات القتالية تنظم لها دورات خاصة بها جهوية ووطنية .

ب ـ لعبة سيق(القصب):

لعبة منتشرة بمنطقة مغنية وضواحيها ،يلعبها عادة كبار السن ،بلاعبين حيث تقطع قصبة إلى أربع أجزاء بطول 20 سنتمتر،فيقوم الأول برمي القصب على الأرض أو بضرب القصب ببعضه البعض على الأرض ،فإذا كانت القصبات الأربعة على جهتها المقعرة نحو الأعلى عدت إبل(بَلْ)،وإذا كانت المحدبة نحو الأعلى تكون غنم(غْلَم)،وإذا كانت واحدة والثلاثة من نوع آخر فلا شيء،أما إذا كانت إثنان إثنان فنقطة واحدة ،وحتى تكون النقط محسوبة للفائز فعليه أن يتحصل على نقطة في الأول ثم ثلاثة إبل وإلا فهو خاسر.

[1] رواية مدرب لعبة العصا،نور الدين بطيور

جـ ـ لعبة الحفرة(قُرْش):

لعبة الحفرة هي لعبة تقليدية مارسها الأجداد والآباء سابقا تنتشر في المنطقة المدروسة،لازالت تمارس من طرف كبار السن والشيوخ تعتمد على لاعبين فقط، وفيها يحفر كل منهما خمس حفر موازية للآخر ،ولكل واحد 20 حجرة صغيرة أو قوقعة حلزون،يتم توزيع الحجر على الحفر أربع أربع ،ثم يبدأ المتنافس الأول باللعب حيث يأخذ أربع حجرات من الحفرة الأولى الخاصة به ويوزعها على الحفر ابتداء من حفرته وكلما انتهت حصياته يأخذ من الحفرة الموالية وبنفس الكيفية إلى أن يبقى بيده حصى واحدة فيفسح المجال للثاني ،وهكذا بعدها يبدأ التنافس الحقيقي بينهما من أجل أن يأخذ كل واحد حصيات صديقه من حفره وذلك حسب قوانين اللعبة المتعارف عليها،وتحسب النقاط بعدد الحصيات المحصل عليها في نهاية اللعبة.

إذن هذه بعض من صور تراث الأجداد وأهم وسائل التسلية والترفيه التي كانوا يقضون من خلالها أوقات فراغهم وتسليتهم والتي تعتمد على تقاسم الأدوار والتعاون، كما تتسم بالتعقيد والتركيز رغم بساطة وسائلها المعتمدة، أما هدفها الرئيسي فكان التسلية وتحقيق المتعة وتبادل المهارات وتوثيق علاقات الصداقة.

خلاصة القول تمثل هذه الألعاب الترفيهية والاستعراضية التي يعرضها المتنافسون والمشاركون في الوعدة عاملا رئيسيا في استقطاب جموع المتفرجين والشباب خاصة باعتبارها متنفس يقضي من خلاله الجميع يوما أو أياما من المتعة والفرجة والاطلاع على ثقافة الأجداد وطرق التسلية التي كانت متداولة سابقا،إذن فالوعدة هي السياحة والفرجة والموعد السنوي مع التراث .

خاتمة

خاتمـــــــة

من خلال الدراسة التي خصصناها بعنوان:"وعدة سيدي امحمد الواسيني بمغنية" ـ دراسة في المظاهر الإحتفالية ـ إستطعنا أن نلم و لو بالجزء اليسير من جوانب الدراسة،و تحقيق فرضية أن المظاهر الإحتفالية المرافقة للوعدة هي العامل الأساسي لاستمرارها .

فالفنون الشعبية الإستعراضية المتمثلة في الفروسية والرقص الشعبي والألعاب الشعبية هي الأكثر حضورا وإقبالا من طرف المهتمين والزوار في مثل هذه التظاهرات ،إذ تشكل من خلال طقوسها المختلفة إعادة إحياء الماضي بكل رموزه وربط الأجيال الحالية بماضي الآباء و الأجداد .

ومن خلال معايشتنا للظاهرة تبين لنا أن هذه الوعدة(موضوع الدراسة) تشكل حدثا فرجويا أكثر من كونه حدثا دينيا مرتبط بعقيدة الصوفية وتقديس الأولياء والنذر لقبورهم في مواسم خاصة من السنة،كما أنها مناسبة مرتبطة بالقبيلة ورغبتها في الحفاظ على وجودها وبقائها من خلال إحياء رموز كرم الضيافة والتعاون والتضامن بين العشائر المكونة للعرش من خلال إبقاء عامل الوحدة المتمثل في جد القبيلة (الولي الصالح) وإبراز تراثها وخصوصياتها الثقافية.

ومن خلال دراستنا للموضوع توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات يمكن إجمالها فيما يلي:

ـ الوعدة ظاهرة ميزت المجتمعات المغاربية عامة والمجتمع الجزائري خاصة ، إرتبطت بعاداته و تقاليده إلى يومنا هذا ،وهي ظاهرة ذات أبعاد دينية وتاريخية وثقافية وإجتماعية ونفسية وذلك ما أوردناه من خلال التطرق لظاهرة الوعدة في الفصل الثاني .

ـ هي ظاهرة ثقافية لازمت فترة الجمود الفكري أثناء فترة الحكم العثماني ثم الاستعماري في ظل إنتشار الزوايا كمؤسسات تربوية وثقافية واجتماعية سيطرت على الفكر الديني والواقع الاجتماعي والثقافي للشعب الجزائري و ساهمت في ترسيخ عقيدة الأولياء الصالحين وكراماتهم وبركاتهم في المعتقد والممارسة الشعبية.

ـ الولي كشخصية مقدسة لا تزال باقية في الثقافة الشعبية إلى يومنا هذا رغم إنتشار الوعي الديني وتحريم الاعتقاد والإشراك بالله ،وذلك ما يفسر بقاء بعض مظاهر الوثنية في مجتمعنا كشكل من أشكال التبعية الدينية للماضي وعدم القدرة على التشكيك في تلك القدسية وذلك ما يبرز الدوافع النفسية لزيارة أضرحة الموتى من الأولياء .

ـ الوعدة في حد ذاتها طقس من طقوس التبرك بالأضرحة والإعتقاد في قدرات الأولياء الصالحين ،و استمرارها بكل طقوسها ومظاهرها الاحتفالية هو ما يسمح باستمرار تلك المعتقدات في الأوساط الشعبية.

ـ بالنسبة لموضوع الدراسة "المظاهر الاحتفالية للوعدة"فقد خلصنا إلى استنتاج مهم هو أن تلك المظاهر هي أهم دافع وباعث لاستمرار الوعدة في المجتمع، ففيها توحي المظاهر الدينية بكل معاني الطهر وسمو الأخلاق والإلتزام بشعائر الدين وإحترام رموزه من خلال طقوس الحضرة الصوفية والزيارة والإطعام ، وكلها مظاهر لطالما ارتبطت بقيم المجتمع الجزائري المتمسك بدينه رغم التجاوزات العقائدية التي يجب التحذير منها وتصحيحها لما لها من تأثير سلبي على عقلية ونفسية الفرد وفهمه لدينه .

أما الفنون الشعبية المرافقة فإنها خير دليل على عراقة الفنون الشعبية الجزائرية النابعة من تاريخ وبطولات الأجداد التي تبين الوجه المشرِّف لتاريخ وصمود الشعب في وجه الغزاة من خلال استحضار صور الملاحم والمقاومة والجهاد، ومن جهة أخرى شكلت عروضها المختلفة مناسبة للفرجة والمتعة تسحر الأعين من خلال أزيائها وأدائها ودلالاتها المختلفة ،فكانت تلك المشاهد الفنية أهم دافع لتوافد الجماعات على مثل هذه التظاهرات بل وتنظيمها دوريا لتكون بمثابة المناسبة السياحية الخاصة باستحضار التراث الشعبي بكل عناصره المادية واللامادية.

خلاصة القول إن هذه التظاهرة الاحتفالية تمثل فضاء مفتوحا أمام جميع الفنون الشعبية ومسرحا شعبيا تعرض فيه مختلف الفنون الاستعراضية والترفيهية المرتبطة بعادات وتقاليد الشعب الجزائري وأصالته،ومناسبة سنوية لتمتين الروابط الأسرية و الاجتماعية داخل القبيلة وحتى بين القبائل المجاورة وتجديد العهد مع رموزه الدينية و إعادة إحياء تاريخه وبطولاته و تراث الأمة بربط ماضيها بحاضرها وتعزيز روح الانتماء للجماعة والأرض والوطن، وعرض تراث الأجداد للأبناء لحمايته من الاندثار في ظل سياسة التغريب الثقافي المفروضة على الشعوب.

شعورا منا بأهمية تراثنا الجزائري بما يحمله من عناصر هويتنا و خصوصيتنا الثقافية ،فالحفاظ عليه مسؤولية الجميع تتطلب إعادة بعثه وتدوين عناصره ونقله للأجيال الصاعدة حتى نحافظ على هويتنا وثقافتنا في ظل رياح العولمة والتغيير، وذلك من خلال إدراج تراثنا في مناهجنا التربوية ونقله للأجيال الصاعدة ونشره عبر وسائل الإعلام المختلفة وتوظيفه في السياحة من خلال تشجيع التظاهرات

الرياضية والثقافية وغير ذلك ،وتنظيم ورشات عمل للخبراء من أجل دراسة وجرد التراث الثقافي الجزائري لحمايته من الاندثار.

إنه لمن الضروري إعادة الإعتبار للثقافة الوطنية من أجل غرس شعور الإنتماء و الإعتزاز حتى تكون سدا منيعا أمام رياح العولمة وسياسة التغريب الثقافي التي تستهدف ثقافتنا العربية الإسلامية باسم التحضر المزيف الذي تنشره عن طريق ترسانتها الإعلامية وثقافتها المادية التي جردت المجتمعات من كل ما هو إنساني عن طريق وسائل الإعلام من تلفاز وهواتف نقالة وانترنت وفايسبوك وصحف وغيرها، مما جعل العادات والتقاليد تتلاشى ولا تمارسها العامة في مناسباتها وأفراحها في ظل طغيان الماديات وحلول مظاهر الثقافة الغربية محلها،وبذلك تظل مثل هذه التظاهرات المناسبة الوحيدة التي يعرض فيها الفولكلور الشعبي وتراث الأجداد بكل عناصره.

ملاحق

ملحق رقم (01):من أرشيف بلدية مغنية 2015

الموقع الجغرافي لبلدية مغنية

ملحق رقم (02):خريطة مترجمة ومنقولة من النت(http://mediawiki.org)

خريطة الحدود وفق معاهدة لالة مغنية 1845

ملحق رقم(03):التقطت من قبل الباحثة في نوفمبر 2015

ضريح الولي الصالح سيدي امحمد الواسيني

ملحق رقم (04): التقطت من قبل الباحثة في نوفمبر 2015

الطّحطاحة (ميدان الفروسية)

ملحق رقم (05):التقطت من طرف أبناء القبيلة في وعدة "خريف2014"

أزياء الفرسان والفرس

ملحق رقم(06) :التقطت من طرف أبناء القبيلة في وعدة "خريف2014"

صورة الفارس

ملحق رقم (07) :التقطت من طرف أبناء القبيلة في وعدة "خريف2014"

صورة العلفة(أعضاء فرقة الفروسية)

قائمة
المصادر و المراجع

الفهرس

الفــهرس

	الصفحة
مقدمة	أ ـ هـ
الفصل الأول:تجليات المعتقدات الشعبية في الوعدة	5
I.المعتقدات الشعبية	7
1. مفهوم المعتقد	9
2. المعتقد الشعبي	10
3. المعتقدات القديمة في الجزائر	10
4. المعتقدات والطقوس	16
II. التصوف في المغرب الإسلامي	19
1. الدين والتدين	19
2. التصوف والصوفية	20
3. الصوفية ومعتقد الأولياء	23
- الولي(الغة واصطلاحا)	23
- مكانة الولي في الثقافة الشعبية	26
III.التصوف الطرقي في الجزائر	30
1. نشأته وإنطلاقته	31
2. الطرق الصوفية	32
3. الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر	34
- في العهد العثماني	36
- في العهد الإستعماري	40
- جمعية العلماء والطرق الصوفية	45

الفصل الثاني: وعدة سيدي امحمد الواسيني بمغنية 51
I. ظاهرة الوعدة 52
1. المفهوم (لغة وإصطلاحا) 52
2. الوعدة والتراث الشعبي 57
3. دوافعها 66
4. وظيفتها في المجتمع 71
II. وعدة سيدي امحمد الواسيني بمغنية 75
1. التعريف بالمنطقة 75
2. التعريف بالولي الصالح 81
الفصل الثالث: دراسة في المظاهر الاحتفالية للوعدة 84
I. التحضير والتنظيم 85
II. المظاهر الدينية 88
1. الحضرة الصوفية 89
2. زيارة الضريح 92
3. الإطعام 96
4. الفاتحة 97
ـ رمزية الطقوس الدينية 98
III. المظاهر الفلكلورية(الفنون الشعبية) 99
1. الفروسية 102
أ. مكانة الفرس في الثقافة الشعبية 102
ب. طقوس وتقاليد الفروسية 104
ج. وصف المشهد النهائي (الخرجة) 108
ـ رمزية طقوس الفروسية 110

2. الرقص الشعبي 111
أ. الرقص الشعبي في الوعدة 113
أ1/رقصة العلاوي 114
أ 2/رقصة الدارة 117
ـ رمزية الرقص الشعبي 118

3. الألعاب الشعبية 119

أ. المفهوم والخصائص 119
ب.أهمية الألعاب الشعبية 121
ج. الألعاب الشعبية في الجزائر(في الوعدة) 122
ج.1/لعبة العصا(المطرق) 124
ج.2/ لعبة سيق(القصب) 128
ج.3 / لعبة الحفرة (قرش) 128
خاتمة 131
الملاحق 135
قائمة المصادر والمراجع 143
الفهرس 152
ملخص المذكرة

ملخص المذكرة

يعالج موضوع البحث دراسة المظاهر الاحتفالية لوعدة سيدي امحمد الواسيني بمغنية و من خلاله تم تحديد علاقة الظاهرة بالمعتقدات الشعبية و بتقديس الأولياء الصالحين. كما تمثل مناسبة احتفالية للفرجة والسياحة واستعراض مختلف الفنون الشعبية،وذلك ما يؤكد على أن الوعدة ليست مجرد فعل طقوسي مرتبط بعبادة الأسلاف بل هي موعد مع التراث والفرجة والسياحة وذلك أهم عامل لاستمرارها إلى اليوم.

الكلمات المفتاحية: الوعدة ـ المعتقدات ـ الطقوس ـ الأولياء ـ الضريح ـ الإحتفالية ـ الفلكلور.

Le résumé

Ce mémoire presente une etude descriptive et historique sur La fête **"waada" de Sidi Mhammed El Ouassini, Maghnia, manifestations et célébrations . La fête « waada » n'est pas seulement un rite qui couronne les Marabouts et la divinité des aïeux et ancêtres, mais un événement ou un rendez vous avec le patrimoine culturel et le tourisme à travers une panoplie de danses, jeux, fantasia, etc., ce qui a toujours donné du souffle à l'événement de s'éterniser.**

Mots clés :

Waada−Croyances − Rites − Marabouts −Mausolée−Celebration – **Folklore.**

Summary

This memory presents the festival"waada" of Sidi Mhammed El Ouassini Maghnia , demonstrations and celebrations .The festival " waada " is not only a rite which crowns the Marabous and the divinity of ancestors but an event or a return with the cultural inheritance and tourism through a panoply of dances, plays, fantasia, etc, which always gave breath to the event to last forever.

Key words:

Waada− beliefs −Rite − Marabous−Mausoleum−celebration− Folklore-